المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2193) - السنة (55) ذو الحجة 1445هـ / 1 يوليو 2024م

المؤسسات الدينية.. وحماية هوية الأمة

الكويت 750 فلساً . السعودية 10 ريالات . البحرين دينار بحريني . قطر 10 ريالات . سلطنة عمان ريال عماني . الأردن 1.750 دينار أردني . لبنان 4500 ليرة . المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

المنصات العربية

mugtama magazin

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

@mugtama

@mugtamaa

@mugtama

@mugtamaa

English platforms

@almujtama_en

@AlMujtama_en

@almujtama_en

@almujtama_en

AR WWW.MUGTAMA.COM

EN WWW.EN.MUGTAMA.COM

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN00000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

العدد (2193) - السنة (55)

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

في هذا العدد:

المؤسسات الدينية.. وحماية هوية الأمة

مقاطعة الكويتيين للشركات الداعمة لـ«إسرائيل» في استطلاعات «البارومیتر العربي» 6

مقدمات في فقه الهوية الحضارية المؤسسية 10

المؤسسات الدينية ودورها الفعال في حفظ هوية الأمة الإسلامية 12

دور الأزهر الشريف في حماية الهوية 16

دور المؤسسات العلمائية والدعوية بفلسطين في تعزيز القيم الأخلاقية والجهادية 18

دور المؤسسات الدينية التركية في احتواء اللاجئين ومعالجة قضاياهم الدينية والاجتماعية 20

الفتاوى الرسمية الواعية «سفينة النجاة» للمحافظة على الهوية الإسلامية 22

دور المؤسسات الدينية في الحفاظ على الهوية الوطنية 24

التاريخ المنسيّ لمسلمي أوروبا الأصليين الأوائل 52

كاريكاتير المجتمع 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

إسلامية أسبوعية
تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠ هـ - ٢٠٠٦/٩/٣ م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:
سالم القحطاني

مدير التحرير:
جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:
العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)
التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com
الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com
الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com
موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

سورة آل عمران

رأي المجتمع

المؤسسات الدينية.. وحماية هوية الأمة

تتحدد معالم هوية الأمة الحضارية والثقافية والمجتمعية من خلال القرآن الكريم والتطبيق العملي لما فيه عن طريق السُّنة النبوية وسيرة الصحابة والتابعين والتراث الفكري والحضاري للأمة عبر تاريخها.

والهوية الإسلامية هي السمات والخصائص التي تميز المسلم المنتسب لدين الإسلام وعقيدته الصافية وشريعته التامة التي شرف الله تعالى أتباعها بأن جعلهم أمة وسطاً، واختارهم لأن يكونوا خير أمة أُخرجت للناس.

وقد أدت المؤسسات الدينية الإسلامية خلال ١٤ قرناً دوراً محورياً في حماية هذه الهوية.

وكان المسجد منذ عهد النبوة المؤسسة التي لها أكبر الأثر في حفظ هوية المسلمين، حيث مثَّلت المساجد منارة للعلم، ومجمعاً للفقهاء، ومجلساً للقضاء، وداراً للفقراء، وقاعدة للإعداد ومنطلقاً للجهاد.

ثم أنشئت بعد ذلك الدواوين، والمدارس، والأوقاف، والجامعات، والمؤسسات والوزارات المعنية بحفظ الدين، والشؤون الإسلامية، التي كان لها دور كبير في الحفاظ على هوية الأمة.

إن الهوية الإسلامية تواجه تحديات كيانية، وتهديدات وجودية تفرض أدواراً استثنائية على جميع المشتغلين بحراستها، القائمين على حفظها من جميع المؤسسات الرسمية والأهلية، لتحقيق مقصد حفظ الدين على الأمة، وإعادة إحيائها وتشييد حضارتها من جديد.

ونهوض هذه المؤسسات، بطريق التكامل والتعاضد، لأداء هذه الوظيفة الكلية والمهمة الحضارية في حفظ هوية الأمة هو تجديد للنموذج الحضاري الإسلامي.

ونحن ندعو في هذا السياق إلى تحويل التهديدات الحقيقية المتوجهة نحو هوية الأمة الإسلامية إلى أولويات للفعل الحضاري للمؤسسات الدينية، مستعينين بفقه الأولويات في تعيين المعروف والمنكر محل الأمر والنهي، وتجديد الخطاب الديني، وتوجيه الأجيال المتعاقبة، نحو الاصطباغ بقضاياها وتعزيز مناعتها الحضارية.

ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كان القائمون على هذه المؤسسات واعين بمسؤوليتهم في حفظ هوية الأمة كلها، مدركين للأخطار المحدقة بها، عاملين بجد وإخلاص في دفع ما يفسدها.■

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض
٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩
فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩
قطر :
دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :٧٢٥١١١ / ف : ٧٢٣٧٦٣
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الإعلانات

امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

مقاطعة الكويتيين للشركات الداعمة لـ«إسرائيل» في استطلاعات «الباروميتر العربي»

كتب ــ د. سامر أبو رمان:

منذ العدوان «الإسرائيلي» على قطاع غزة، في ٧ أكتوبر الماضي، كانت الحالة الكويتية في التضامن مع القطاع المنكوب لافتة للأنظار؛ حيث تفاعل الكويتيون بمختلف أطيافهم مع الحدث، كما عبروا عن دعمهم لسكان غزة بصور شتى، شملت المظاهرات والوقفات التضامنية المنددة بالعدوان، وحملات جمع الإغاثة وتسيير شاحنات مساعدات حتى من قبل جهات إنسانية كويتية لا تعتبر غزة من نقاط تركيزها الجغرافي، وكما كان من أبرزها حملات ودعوات لمقاطعة الشركات الداعمة لـ«إسرائيل»، وهو ما سأعرضه في هذا المقال!

بدأت الدعوة إلى المقاطعة منذ أكتوبر ٢٠٢٣م، ونشطت الحملات الدعائية الداعية إلى مقاطعة الشركات الكويتية التي تحمل علامات تجارية عالمية مثل «ستاربكس» و«ماكدونالدز» لكون الأخيرة قد دعمت «إسرائيل» في حربها، كانت أبرزها حملة «هل قتلت اليوم فلسطينياً؟!».

ومنذ ذلك الوقت أثارت دعوة المقاطعة جدلاً كبيراً في الشارع الكويتي بين معارض ومؤيد؛ المؤيدون يرون أن الواجب الإنساني والديني والعروبي تجاه غزة يفرض القيام بهذه المقاطعة.

على حين يرى المعارضون أن هذه الدعوة شعبوية ونتاج لتحريض بعض الإعلاميين والسياسيين؛ لتغذية وتقوية أجندة ما يصفونه بالفكر الأصولي في الكويت، وإن من شأنها التأثير على الاقتصاد الكويتي، حيث إنها ستفضي إلى مناخ طارد للاستثمار، كما أن الشركات المستهدفة شركات وطنية تم الترخيص لها من الأجهزة المعنية، وهي لا تحمل من نظيرتها الأجنبية إلا الاسم، وأن مقاطعتها أشبه بانتقام من الذات واستهداف للاقتصاد الوطني من أهله، كذلك انتقد البعض إعلانات المقاطعة لأنها تفتقر إلى التنظيم والتنسيق لتعريف الشارع الكويتي بالجهات التي يجب مقاطعتها!

تزامن ذلك مع المرحلة التحضيرية لاستطلاع «الباروميتر العربي»، الذي نفذ للمرة الثالثة في دولة الكويت، خلال فبراير ومارس ٢٠٢٤م، بالتعاون بين جامعتي برنستون، وهارفارد، ومركز دراسات الخليج والجزيرة العربية في جامعة الكويت، ومركز السلام، وشملت عينة الاستطلاع ١٢١٠ من الكويتيين في المنازل من كلا الجنسين ومن محافظات الكويت الست.

وقد تشرفت بالمشاركة في هذا الاستطلاع الذي يعتبر الأكبر من نوعه لآراء المواطنين في الدول العربية حول القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وانتهز بعض فريق البحث الفرصة قبيل انطلاق العمل الميداني لاقتراح إضافة بعض الأسئلة عن الحرب في غزة، بهدف استكشاف آراء الكويتيين حولها!

طرح أحد الأسئلة على المستجيبين قائمة من طرق التضامن مع غزة، وطلب منهم تحديد الطريقة التي اعتمدوها مع إتاحة المجال لهم لاختيار أكثر من خيار، وتبين من النتائج أن «مقاطعة الشركات الداعمة لإسرائيل» كانت أكثر الطرق بنسبة كبيرة وصلت إلى ٨٣,٦%! لتحل بعدها «متابعة أخبار الحرب باستمرار» ٦٤,٨%، و«التبرع النقدي لإغاثة قطاع غزة» ٦٢,٦%، و«بث رسائل تضامنية عبر وسائل التواصل الاجتماعي» ٤٤,١%، و«المشاركة في فعاليات تضامنية عامة» ٢١,٥%!

رغم أنه ليس من الممكن حتى الوقت الحالي معرفة الحجم الكامل للخسائر، التي منيت بها العديد من العلامات التجارية، بفعل حملة المقاطعة في الكويت بسبب غياب البيانات المالية، فإن تقريراً لوكالة «بلومبيرغ»، في يناير الماضي، قد ذكر أن حملة المقاطعة في الكويت التي شملت شركة «ستاربكس» قد عززت من مبيعات المقاهي المحلية.

وعلى قدر ما تعكس النتائج السابقة عمق التضامن الشعبي الكويتي مع غزة في محنتها، فهي كذلك نتاج للاختيار الحر؛ حيث إن أجواء الحريات التي تمتعت بها الكويت قد أسهمت في جعل شعبها حراً في الاختيار والقرار والتفكير سياسياً واقتصادياً!■

حروف
HOROF
EDP & HAIR MIST & BODY MIST

الشايع
منذ SINCE 1928
الشايع للعطور
AL SHAYA PERFUMES
www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

في حفل جمعية الإصلاح الاجتماعي
لاستقبال المهنئين بعيد الأضحى المبارك..

العمر: أسأل الله عز وجل أن تتداعى الأمة العربية والإسلامية لنصرة غزة

استقبلت جمعية الإصلاح الاجتماعي جموع المهنئين بحلول عيد الأضحى المبارك.

وبهذه المناسبة قال نائب رئيس مجلس إدارة الجمعية محمد العمر: في هذا اليوم المبارك نرفع إلى مقام حضرة صاحب السمو الشيخ مشعل الأحمد الصباح أمير البلاد والشيخ صباح الخالد ولي العهد أسمى التحيات والتبريكات، ونرفع كذلك للشعب الكويتي الأبي بهذه المناسبة أسمى التبريكات.

وأوضح قائلاً: من المعلوم أن هذه فعالية اجتماعية اعتادت على إقامتها الجمعية في الأعياد والمناسبات الإسلامية والوطنية.

وقال: بهذه المناسبة أحب أن أرفع تقديري لحكومة وشعب الكويت على دعمهم الدائم والمستمر للقضية الفلسطينية ولإخواننا اليوم في غزة.

وأضاف: لا شك أن الجمعيات الخيرية كان لها نشاط رائع جدًا في العشر الأوائل من ذي الحجة، وكان التفاف الشعب الكويتي على هذه اللجان والمشاريع التفاف كبير ومقدر، وهذا دور مطلوب اليوم لنصرة أهل غزة، أسأل الله عز وجل أن يرفع عنهم هذا العدوان الصهيوني البغيض، وأن تتداعى الأمة العربية والإسلامية لنصرتهم.■

د. محسن حمود الصالحي.. المربي القدوة

كتب ـ حمود محسن الصالحي:

ولد محسن حمود محسن الصالحي في ١٥ ربيع الآخر ١٣٧٢هـ/ ١٢ يونيو ١٩٥٣م، ونشأ وترعرع بالكويت.

حصل على دبلوم معهد المعلمين عام ١٩٧٧م، ثم بكالوريوس تربية في اللغة العربية بجامعة الكويت عام ١٩٨٧م، ثم ماجستير في التربية من جامعة بتسبيرغ بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٤م، ودكتوراة في أصول التربية بذات الجامعة عام ١٩٩٨م، وعمل أستاذاً مشاركاً عام ٢٠٠٧م، ثم أخذ الأستاذية عام ٢٠١٣م.

بره بوالديه:

كان الصالحي رحمه الله نِعْم المثال للابن البار بوالديه بالسمع والطاعة، ويؤثرهما على نفسه، ويلبي احتياجاتهما ولا يقوم بأمر إلا بعد أخذ إذنهما.

العمل والمناصب:

شغل الصالحي منصب أمين السر لجمعية المعلمين، ورئيس قسم الأصول والإدارة التربوية بكلية التربية الأساسية لمدة ٤ سنوات، ثم مديرًا لمركز العطاء لمساعدة الباحثين وطلبة الدراسات العليا.

إنجازاته:

- المشاركة في العديد من المؤتمرات.
- إعداد الكثير من الدورات التربوية والتدريبية.
- إعداد العديد من البحوث والدراسات العلمية.
- إصدار العديد من الكتب التربوية.
- إصدار مجلة الدراسات والبحوث العلمية.

أبرز صفاته:

اتصف الصالحي بالتسامح، والتواضع، والصبر، والبشاشة، والقدوة الحسنة، وكان ليناً سهل التعامل، يسعى في حاجات الناس، شفوقاً بالمتعلمين، مخلصاً جاداً في عمله، يحفظ السر، ويفي بالوعد، عفّ اللسان، نصوحاً، حسن الخلق، متواضعاً مع الكبير والصغير.

وفاته:

توفي، رحمه الله، في ١١ ذي الحجة ١٤٤٣هـ/ ١٠ يوليو ٢٠٢٢م.■

تفسير القرآن الكريم باللغة البوسنية

د. علي محمد الصلابي
كـــاتـــب إســـلامـــي

لأول مرة، تُتَرجم معاني القرآن الكريم، وتُفسر أحكامه وأصوله من عالم بوسني مجتهد، ولتكون التجربة الأولى من نوعها، التي قد تشكل مصدراً رئيساً في تفسير القرآن الكريم لكل من يفهم اللغة البوسنية، الذين يتجاوز عددهم نحو أربعين مليون إنسان، وهذا العمل يمثل إبداعاً حضارياً، وإنسانياً عظيماً في تسهيل طريق الباحثين عن الهداية والنور، وطريق الحق، ومحاولة للإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى التي احتواها التفسير.

هذا أول تفسير كامل للقرآن الكريم من عالم بوسني وهو أخي الشيخ د. صفوت مصطفى خليلوفيتش (Safvet Halilovic)، وكان يعتمد المهتمون وطلبة العلم والمشايخ في بلاد البوسنة -قبل ذلك- على ترجمة لمختصرات علماء قدامى أو أجزاء من التفاسير لكتب الأحكام، ومنها مختصر تفسير ابن كثير، والظلال، وقصار السور وجزء «عم»، ولكن هذه المرة تخرج موسوعة متكاملة ونافعة من تأليف الشيخ البوسني الجليل د. صفوت، ووفق المنهج التفسيري الأصلي، وأنا متخصص بذلك، وأُدرّس هذه المواد المتعلقة بعلوم القرآن وتفسيره.

منهج الشيخ صفوت في تفسير القرآن باللغة البوسنية

استغرق الشيخ صفوت خليلوفيتش (جزاه الله خيراً) نحو أحد عشر عاماً في التفسير من رمضان ٢٠١٣ وحتى رمضان ٢٠٢٤م، والشيخ صفوت من علماء الأزهر الشريف، ومن المنهج الأزهري الوسطي، وقد نال درجة الدكتوراة من كلية أصول الدين في علوم القرآن «تخصص التفسير»، ورسالته حول منهج أبي بكر الرازي في كتابه «أحكام القرآن»، وهو عمدة التفسير عند الأحناف.

وينتمي لمدرسة الشيخ الإمام العلاَّمة يوسف القرضاوي (رحمه الله) كما يذكر في حديثه، ويعد من علماء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين العاملين المجتهدين، وقد بذل في هذا العمل الضخم، بمشورة ودعم بعض الإخوة من زملائه والمشايخ الكرام جهداً كبيراً، حتى أتم هذه الموسوعة التأليفية في أربعة أجزاء، وقد أصدرته كلية التربية الإسلامية في جامعة زنتيسا، وهي جامعة عريقة بالبوسنة والهرسك (Islamic Pedagogical Faculty, University of Zenica, Bosnia@Herzegovina).

اعتمد الشيخ صفوت خليلوفيتش منهجاً شمولياً في عمله، بني على أساس قراءة موسعة لأكثر المصادر التفسيرية قديمها وحديثها، حيث اعتمد على كتب وتصانيف وتفاسير العلماء الكبار، ومنهم الأوائل؛ كالطبري، وابن كثير، والقرطبي، والنسفي، والبغوي، والزمخشري، والشوكاني.. وغيرهم.

والعلماء المعاصرون أمثال: تفسير الشيخ محمد رشيد رضا (تفسير المنار)، والشيخ مصطفى المراغي، والطاهر بن عاشور، والشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ يوسف القرضاوي، فضلاً عن تفاسير الشيخ السعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، و«التفسير الميسر»، و«المنتخب في تفسير القرآن» للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، وكتاب الشيخ سعيد حوى «الأساس في التفسير»، و«المعين على تدبر القرآن الكريم» لمجد مكة، و«مختصر التفسير» للشيخ الصابوني، و«تفسير القرآن» لسيد قطب.. وغيرها.

واعتمد الشيخ صفوت على استشارات مجموعة من العلماء والمشايخ، وكان له تواصل معي، ومن بين العلماء الذين استشارهم بشكل مستمر الشيخ أحمد الريسوني، ومحمد الحسن ولد الددو، وجاسر العودة، ومشهور فواز، وهو رئيس المجلس الإسلامي للإفتاء في داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة (أم الفحم)، وعلماء في الهند والبوسنة وتركيا.. وغيرها.

وسار وفق منهج مبني على التفسير الموجز على قاعدة خير الكلام ما قل ودل، وهو ما زاد عليه المسؤولية وطول الزمن، فأحياناً كان يجلس في تفسير الآية الواحدة أو جزء منها أسابيع وشهوراً للوصول إلى المعنى المفهوم للكلمة أو الآية، ويقول: كنت أسلك هذا المسلك، وأنا ابن المدرسة الوسطية، وتلميذ شيخنا يوسف القرضاوي (رحمه الله).

كلمة شكر وتقدير

هذا العمل أفرح قلبي، وجعل هذا اليوم المبارك «يوم الجمعة»، الذي وصلني فيه الخبر من الشيخ صفوت يوماً عظيماً فوق عظمته، وجعل عيني تفيضان دمعاً؛ لأن لي فكرة سابقة عن مشروع الشيخ صفوت، وجهده الدؤوب في إنجاز هذا المشروع الحضاري والإنساني والعقائدي والفكري العظيم، ولأجل هذا أسأل الله تعالى أن يتقبل من الشيخ صفوت هذا العمل الجليل، وأن يبارك فيه، ويكتب له القبول والانتشار، وأن يجعله سبباً في هداية خلقه، ونفع البشرية منه، وأسأل الله العظيم أن يتقبل منه ومن العلماء الذين دعموه، ومن إخوانه الذين أعانوه في المراجعة والترجمة والتدقيق والتحرير والطباعة والنشر.

وإن مثل هذه المشاريع الجليلة العمالقة تستحق الإشادة والتشجيع لأنها مفاتيح للخير والدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته، والعمل بما يرضيه إن شاء الله.

وأدعو بصفتي الأمين العام للاتحاد العالمي إخواني الأفاضل من الخطباء والعلماء وطلبة العلم والدعاة إلى الله والرجال العاملين في ميادين الخير، للاجتهاد أكثر في الدعوة إلى الله، وتعريف البشرية بعظمة هذا الدين، والقيم الإنسانية الرفيعة التي بشَّر بها الكتاب العزيز، وطبقها رسول العالمين النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، وسار عليها الخلفاء الراشدون، والصحابة الأطهار، وعلماء الأمة الميامين قديمهم وحديثهم.■

مؤسسات المجتمع في غالبية تاريخنا كانت أقوى من السلطة بل هي الدولة وصاحبة القوة والتأثير

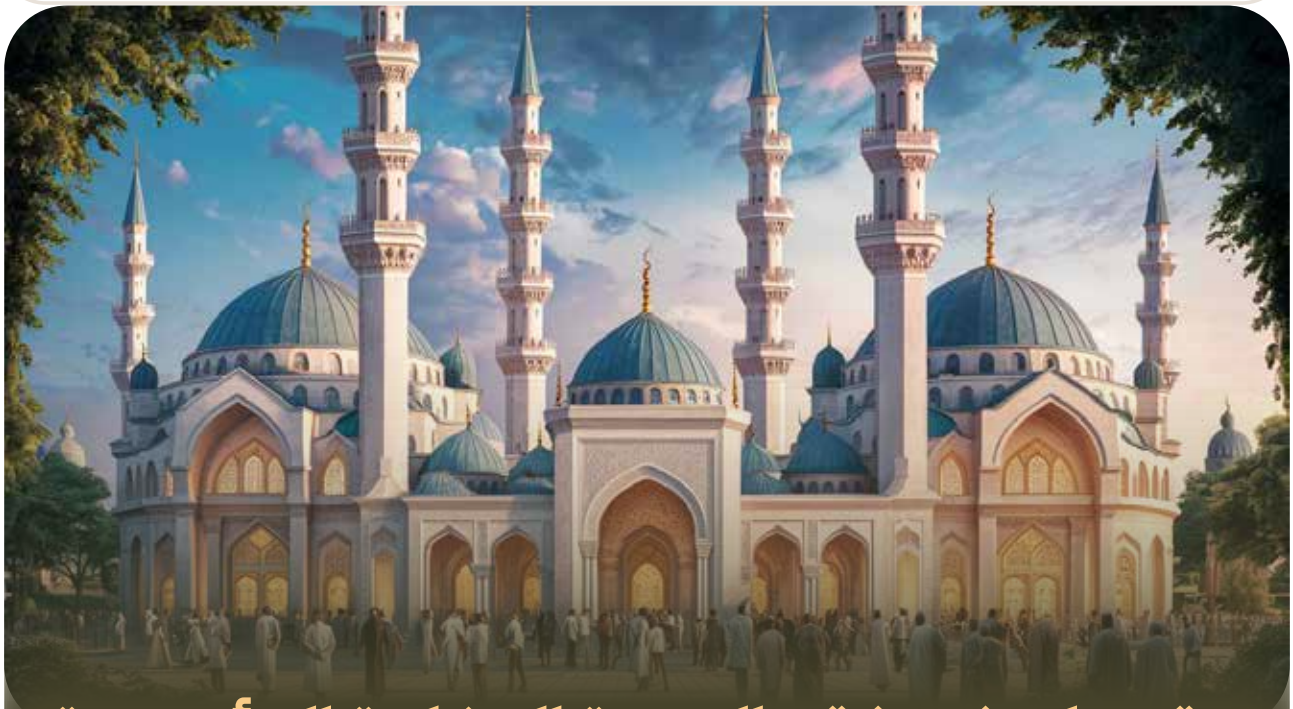

مقدمات في فقه الهوية الحضارية المؤسسية

د. عطيــة الويشــي

إنَّ عقيدة التوحيد والتقيُّدَ بالتزاماتها واحترام شروطها العملية المنافية لكل صور الإرجاء والتعطيل، إنَّما هي في منطق التجريد فطرةٌ لا تَكَلُّفَ فيها؛ ولذلك منْ يتخذها خياراً إستراتيجياً للحياة، يجدها واحة فسيحة بلا حدود، تنطلق فيها طاقات الإنسان وقدراته ومواهبه وملكاته وإمكاناته الإبداعية بلا عوائق، وتتوظف في مساراتها إمكاناته المُنتِجة بلا قيود، بِغَضِّ النظر عن عقيدة ذلك الإنسان، وعــن ومذهبــــه، أو فكره ومَشرَبِــه، أو مشرقه ومَغربِه.

وعلى أضواء حيثيات تلك الهوية الاستخلافية، تبدو أهمية تتبُّع مؤشِّرات العبرة النبوية الشريفة وخبرتها المستقاة من روح الوحي في تغيير المفاهيم، وتأطير القيم، وتنوير الأفكار الخليقة بتأسيس مجتمع وشعب، وبناء مؤسَّسات دولة، وتشييد مدنية، وهيكلة حضارةِ خيرِ أُمَّةٍ أُخرجت للناس؛ ذلك، ولم يكن حديث القرآن عن فنون إدارة المشاريع النهضوية الكبرى، ولا عن قيم التعددية والتنوع في تأسيس المجتمعات ولا عن تَطَرُّق الوحي إلى حديثه المستفيض عن قيم الحريات وحقوق الإنسان، ومناهضة مشاريع الاستبداد المتسلِّط في الأرض بغير حَقٍّ وجدارة، وعنايته بفريضة الشورى وتأكيده على وجوب المشاركة في صياغة العلاقة بين المجتمع والدولة والسلطة تحت مظلة الأمة الواحدة والجامعة المتوحدة.. لم يكن كل ذلك وغيره حديثاً من فراغ!

وقد جاءت الترتيبات النبوية الأولية، بعد توطين الهجرة الإسلامية في يثرب، وما تبعها من إجراءات تغيير إسلامي شاملٍ؛ ابتداءً بتصحيح المفاهيم وإصلاح القناعات، ومروراً بتعديل المسالك الاجتماعية المعيقة للاستقرار والتحضر، تلك المسالك التي كانت تدل عليها اللافتة القديمة «يثرب» وما علق بها من حمولات دلالية «تثريب اجتماعي، ومسالك انتهازية، ومنافسات عصبية، ومنازعات قَبَلِيّة لا تنتهي»؛ تلك المظاهر قد رآها النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم منافيةٍ روحَ الحضارة الجديدة القائمة على الوحدة المتعاونة، فبادر صلى الله عليها وسلم إلى وضع العنوان الجديد ورفع اللافتة الجديدة «المدينة»، وقَنَّن ما ارتبط بدلالاتها من دستور الأمة، وهوية المواطنة الجامعة التي يتساوى بها مواطنو الدولة ورعاياها من مختلف التعدُّديات: الجهوية «المهاجرين والأنصار»، والعرقية «بلال الحبشي، صهيب الرومي، سلمان الفارسي»، الدينية «المسلمون اليهود بكافة قبائلهم، والنصارى والأحناف والوثنيون» والتعددية الأيديولوجية «المنافقون».

وفي سياق ذلك، تأسست الأوقاف كمؤسسة أهلية مُغذية النشاط الحضاري بكل مقومات الاستمرارية والنمو والازدهار، كل ذلك وغيره من ترتيبات، كان يجري وأصحاب النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم من حوله، يرقبون تصرفاته ويتأملون أفعاله بكل اهتمام، وكانوا يتابعونه عن كثبٍ فيتشربون عصارة تجربته وخلاصة خبرته؛ فتراهم يحاكونه في مسالك التحضُّر والتمدُّن؛ تارة على سبيل التأسي والاقتداء، والتعبُّد بمتابعته على طريقته الجارية في حراسة الدين، وفي سياسة الدنيا، وتارة أخرى يتمثلون سلوكه على سبيل التبرك والتقليد وجريان العرف والسليقة على اتِّباعِ المعروفِ، وسلوك سبيل المؤمنين.

ولقد كانت تلك الإجراءات، إذْ ذاك، محدودة ومتواضعة؛ بِحُكم حداثة العهد الإسلامي بالتأسيس والتهيئة والتحضير لقيامة الإسلام في دورته الخاتمة بنبوة النَّبِي محمد صلى الله عليه وسلم ممهِّداً لولادة الأمة في صيغها الاستخلافية؛ مجتمعاً ودولة ومدنية وحضارة.

ولقد كانت العصور التالية عصر النبوة من شواهد الإثبات على أنَّ المسيرة للأمة لم تتوقف برغم وجود مشكلات سياسية مبكرة من تاريخ المسلمين؛ وذلك يدلُّ على أنَّ الحضارة الإسلامية كان حضارة مؤسسات، قد خَطَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خطوطها العريضة لكنها كانت منذ نشأتها حضارة مؤسسات أهلية ومبادرات شعبية تحملت مسؤولية النهوض الحضاري المستدام عبر العصور، وكانت الدولة تقوم بدور حراسة النشاط الحضاري وحماية مؤسسات الأمة دون أيِّ تأثير في مجرياتها، فقد كانت مؤسسات المجتمع، خلال غالبية عصور تاريخنا الإسلامي، أقوى من السلطة، بل كانت هي الدولة بالمفهوم المجازي وصاحبة القوة الحقيقة والتأثير!

وبوسعي القول: إنَّ تلك الترتيبات الحضارية الإسلامية المبكرة، إنَّما جاءت في سياق نزعة الإيمان التي هيمنت على الشعور الإسلامي الراغب في التماهي مع تلك الصورة المثلى لمملكة الرب جل جلاله في الأرض، تلك الصـــورة التي تأسست على قواعد الحق والعدل والإحسان.

أداء المؤسسات الإسلامية المعاصرة تغلب عليه نزعة الذاتية وغلو العصبية وتطرُّف الانتماء

كثير من الشعارات المذهبية لا تحقق مقاصد الإسلام بسبب غياب المؤسسة الإسلامية المتخصصة

ونريد الانطلاق من مسألة التعددية والتنوع على نحو ما تضمنته الفكرة السابقة، ونقرر أنَّ منطق الربوبية في الذِّكرِ الحكيم يأبى أي صورة من صور الإقصاء والتهميش، أو الإهمال والتنحية والإبعاد عن دائرة المشاركة في حركة التحضر والتمدُّن الإسلامي، فإنَّ الله تعالى قد خلق الناس جميعاً، بل إنَّ ما ورثناه من تقاليد حضارية عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، في عصر التأسيس الحضاري الإسلامي، ليؤكِّد استِفادة الأمة المسلمة من طاقات أبنائها وخبرات مواطنيها، المسلمين وغير المسلمين.

إنَّ التفاوت في الطاقات والقدرات، والتباين في المواهب والإبداعات، والاختلاف في الآراء ووجهات النظر المتعلقة بشؤون الحياة، وتسيير أمورها وترتيب أحوالها، كان إحدى سمات الحياة الإسلامية سيادة عبر العصور، ولن نذهب بعيداً إذا نظرنا إلى تلك المعطيات باعتبارها المعادل الموضوعي لفهم مبدأ «المؤَسَّسِيَّة» في مكونات الهوية الحضارية الإسلامية، سواءً في التزاماتها الفردية، أم في إطارها العملي الجماعي، أم في تجلياتها الاستخلافية، أم في فهم الاختلافات الدينية والمذهبية والقومية والعرقية والعشائرية والقبلية.

ومن المُهِمُّ هنا التعريج على أبرز المشكلات التي تُعيق المؤسسية في عالَمي العروبة والإسلام؛ إذْ إنَّ كثيراً من الشعارات الدينية والمذهبية والحزبية لا تحقق المقاصد الحضارية لرسالة الإسلام؛ وذلك بسبب غياب المؤسسة الإسلامية القائمة على مبادئ التخصص وتقسيم العمل، وتوزيع المسؤوليات توزيعاً عادلاً؛ ولذلك، فإنَّ عمل المؤسسات التي ترفع من «الإسلامية» شعاراً لمسالكها؛ إنَّما هو في مُجمَلِهِ عملٌ أحوج ما يكون إلى النقد النزيه والمراجعة القويمة.

وغيرُ خافٍ أنَّ أداء المؤسسات الإسلامية المعاصرة، إنَّما تغلب عليه نزعة الذاتية وغلو العصبية وتطرُّف الانتماء، هذا التطرف يجعل من خطابها مجرد «دعاية» بعيدة عن منطق الدعوة إلى قيم الدين الحنيف، بل مجرد نشاط حزبي أو تنظيمي أو طائفي ذي رؤى وسياسات ومناهج ومقررات وأدبيات فئوية تجزيئية بعيدة عن مفهوم الأمة الجامع، بل تعارضه حيناً وتناقضه أحياناً!

ولذلك نجد أنَّ المؤسسية المعبرة بحق عن هوية الأمة وتطلعاتها إلى إعادة إنتاج الفعل الحضاري الإسلامي من جديد، لا تتحقق على وجه المراد الإلهي إلا بالتحام الوازع الديني المتجرد مع الواقع الدنيوي المتعدد، ومن ثم، فإنه من المستساغ أن يحدد الأفراد والتيارات والمذاهب هويتهم بالإسلام الذي يجمع بينهم بروابط الأخوة الإسلامية العالمية، بدل تحديدها على أسس تجعل منهم مجرد فئة أو طائفة أو جماعة من الجماعات.

والحقيقةُ أنه ترسيم الهوية بالإسلام لا يتعارض مطلقاً مع إحساس كل جماعة بذاتيتها، فالهوية الإسلامية الجامعة لا تنفي عناصر الاختلاف الخاصة بكل فئة، ولكنها تجعلها غير مهمة نسبياً، مقارنة بما يجمعها مع غيرها من الطوائف من قواسم مشتركة عبر فهم الإسلام فهماً سليماً، فتلك الفروق لا مجال لنكرانها، ولكنها توضع في حجمها الصحيح»[1]، وهكذا يمكن أن تتحدد ملامح هويتنا الحضارية، وتتجدد بنودها على أضواء الخبرة الحضارية المستقاة من تجربة النبوة الإسلامية.■

الهوامش

(١) إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة: السيد عمر، مدارات للأبحاث والنشر، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص١٨٣، بتصرف يسير.

المؤسسات الدينية ودورها الفعال في حفظ هوية الأمة الإسلامية

لا شك أن المؤسسات الدينية تؤدي دوراً مهماً على مدار التاريخ الإسلامي في الحفاظ على هوية وخصوصية الأمة الإسلامية الحضارية والثقافية في مختلف المجتمعات عبر القرون، وكذلك في بلاد المهجر،

واستطاعت المؤسسات الدينية عبر الأطر التي ابتكرتها القيام بهذا الدور بشكل رائد وفعال من خلال الوقفيات والتكايا والسبل التي يقوم بها أصحاب الصنائع والحرف والتجمعات المهنية والعلمية المختلفة من جهة، وكذلك المؤسسات التي دشنتها الدولة الإسلامية على مر تاريخها وما زالت آثارها قائمة حتى اليوم، وآلاف الجمعيات الدراسية والدينية والخيرية والاجتماعية والطبية، وجمعيات العلوم الشرعية وغير الشرعية، والكل يهدف إلى الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية ورعاية الأجيال لمواجهة طوفان التغريب والبعد عن جوهر الدين الحنيف.

تحقيق – مجاهد الصوابي:

في البداية، يؤكد **د. محمود النفار**، أستاذ أصول الفقه والسياسة الشرعية المساعد في كلية الإلهيات في جامعات تركيا، لـ«المجتمع»، أن الهوية الإسلامية للعالمين العربي والإسلامي بالإضافة إلى المجتمعات الإسلامية في بلاد الغرب تواجه تحديات كيانية، وتهديدات وجودية تفرض أدواراً استثنائية على جميع المشتغلين بحراستها من المؤسسات المتعددة مثل الأسر والمدارس والجامعات والأوقاف والجمعيات والمنتديات والنقابات والحركات، وتتصدر هذه القائمة المؤسسات الدينية الرسمية والأهلية مثل وزارات الأوقاف، واتحادات العلماء، ومنظمات الدعاة، ومؤسسات التربية التي انتدبت نفسها مشكورة لتحقيق مقصد حفظ الدين على الأمة ثم بثه في الإنسانية، لتسهم بذلك في إيقاع فريضة من فروض الكفايات، وتتشارك المسؤولية مع نظيراتها في إحياء الأمة وتشييد حضارتها.

ويضيف د. النفار أن انتهاض هذه المؤسسات، بطريق التكامل والتعاضد، لأداء هذه الوظيفة الكلية والمهمة الحضارية في حفظ هوية الأمة هو تجديد للنموذج المعرفي الإسلامي الذي تمثل فيه المساجد على سبيل المثال مشعل الإصلاح ومصدر النور الذي يستوعب طاقات الأمة ومجالات عملها المختلفة.

كما يمثل هذا القيام تجديداً للخبرة الحضارية الإسلامية التي كان لهذه المؤسسات فيها الدور الأهم والأبرز في حفظ هوية الأمة حيث مثلت المساجد منارة للعلم، ومجمعاً للفقهاء، ومجلساً للقضاء وداراً للفقراء، وقاعدة للإعداد ومنطلقاً للجهاد، ومثلت الجامعات في ذاكرة الأمة محل شورى أهل الحل والعقد في مواجهة الأخطار الخارجية كما هي الحال في جامعة القرويين في المغرب، والأزهر في مصر والشام، وغيرهما.

ويشير إلى أن إقامة الدين كما أنزله الله تعالى في القرن الحادي والعشرين بتشييد أصوله، وبناء فروعه بات محفوفاً بالكثير من الأخطار الداخلية والخارجية التي توجب على المشتغلين في الحقل الديني إعادة ضبط البوصلة والقبلة نحو مقاصد الدين، ثم ضبط بواعث المشتغلين بإقامته نحوها، ولا يتحقق هذا الضبط إلا بتجديد الأنظار، ومراجعة الخطط، وتجديد المناهج، ونحوها.

ونحسب أن صبغ أمة ما بخصائص وقسمات وسمات مشتركة تجعل لها شخصية مستقلة وجبلة فريدة عن غيرها أو الحفاظ على هذا الصباغ أمر لا يتحقق من خلال جهود مبعثرة لا تستند

إلى دراسات تخصصية ومشورة للخبراء، وهو ما نصادفه في جهود أعداء وخصوم الهوية الإسلامية الذين يستندون إلى جهود قرون من الاستشراق الاستخباري ثم قرنين من الاستشراق المعرفي ثم قرن من جهود التغريب القسري على أنقاض الحواضن الحضارية للتدين في الأمة.

كما يُحدّث هؤلاء الأعداء والخصوم خططهم من خلال استطلاعات دقيقة ترصد الحالة الدينية في العالم العربي والإسلامي والمجتمعات الإسلامية في الغرب، وبرامج دعم لتلك الجهود.

ونحن ندعو في هذا السياق إلى تحويل التهديدات الحقيقية المتوجهة نحو هوية الأمة الإسلامية إلى أولويات للفعل الحضاري للمؤسسات الدينية، وهنا نستدعي جملة من الأخطار الحقيقية مثل مقاومة الإلحاد والشذوذ والتفاهة والإحباط، والمنشود المأمول هو

د. النفار: تحويل التهديدات الحقيقية المتوجهة نحو هوية الأمة إلى أولويات للفعل الحضاري للمؤسسات الدينية

تحديد مهام ووظائف هذه المؤسسات في الواقع المعاصر بحسب هذه التحديات والأخطار من خلال فقه إستراتيجي يعي هذه التحديات في سياقاتها الكلية التي تتجاوز حدود الحقل الديني لتتصل بالمجال الحضاري، يستعين هذا الفقه بفقه الأولويات في تعيين المعروف والمنكر محل الأمر والنهي، وتجديد الخطاب الديني، ويوجه الأجيال المتعاقبة في هذه الأمة نحو الاصطباغ بقضاياها وتعزيز مناعتها الحضارية.

التصدي للتطبيع

ويقول د. النفار: إنه تتبوأ -فيما نحسب- مدافعة التطبيع سلم أولويات المؤسسات الدينية في الواقع الراهن؛ لأن شرط بقاء التطبيع واستمراره هو تغيير عقيدة الأمة وشريعتها من خلال ما اصطلح عليه بـ«اتفاقيات أبراهام» التي تتضمن خططاً وتدابير دينية وفكرية وثقافية تفضي إلى تذويب هوية الأمة وتغييب أركان قوتها، وتسييد الكيان الصهيوني على المنطقة العربية والإسلامية.

وهنا نجدد لفت الأنظار إلى ضرورة إفادة وبناء المؤسسات الدينية على مفاعيل معركة «طوفان الأقصى» المباركة التي امتدت آثارها داخلياً بتجديد التدين العميق في ضمائر أبناء الأمة، وخارجياً بتجديد البحث عن الإسلام، ونحسب أن المعركة أكبر فرصة أمام المؤسسات الدينية في القرن الأخير كي تجدد ذاتها

نافع: المؤسسات الدينية كان لها آثار إيجابية في النهوض الحضاري بالأمة الإسلامية لا سيما النهضة العمرانية

وتحقق غايتها ببناء أمة عميقة التدين، عظيمة الإنسانية، عالمية الرسالة، وافرة العطاء.

في حين يرى **إيهاب نافع**، رئيس الائتلاف العالمي الطلابي لنصرة القدس سابقاً، من لبنان، لـ«المجتمع»، أنه على مدار الزمن كانت المؤسسات الإسلامية، ولا سيما الوقفية منها، منتشرة في كل النواحي والأمصار، تقوم بدور رائد قلَّ نظيره في المجتمعات الأخرى؛ بل قد يكاد يكون منعدماً فيها، فحديث النبي محمّد صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: «إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا من ثلاث؛ صدقةٍ جاريةٍ، وعلمٍ ينتفعُ به، وولدٍ صالحٍ يدعو له»؛ فالصدقة الجارية تعني بعد الموت تبقى له هذه الصدقة يحبس أرضاً تُؤجَّر، وتُصرف أجرتُها لمساعدة الفقراء والمساكين، وفي دعم الجهاد لنصرة الإسلام، وفي تعمير المساجد، إلى غير ذلك.

ويضيف نافع أن هذا الحديث جعل كل مسلم مقتدر يضع هذا الحديث الشريف نصب عينيه، فكان يحرص على أن ينشئ صدقة جارية تؤنسه في قبره وتكون له رفع درجات يوم القيامة، فكانت منظومة الأوقاف التي وفرت عبر الزمن استدامة للمؤسسات الإسلامية ورعاية للأيتام والأرامل والعجزة وغيرهم ممن يحتاج إلى الرعاية والاهتمام.

كما كان لهذه المؤسسات الدور الكبير في حفظ هوية الأمة الإسلامية،

بكار: المؤسسات الدينية كان لها الدور الفعال في المحافظة على الهوية الإسلامية من خلال منظومة الأوقاف

فمن يستطيع أن ينكر ماذا قدمت هذه المؤسسات، ونخص بالذكر منها دُور القرآن الكريم التي أنشأت جيلاً يرتبط قلبه بكتاب ربّه وبسُنة نبيه محمّد صلى الله عليه وسلم، ودور هذه المؤسسات في رعاية المجاهدين الذين كانوا يرابطون على الثغور ورعاية عوائلهم، إضافة إلى رعاية التطور العلمي الذي ما كان ليستمر لولا هذه المؤسسات التي كانت تعتبره من أولوياتها.

المؤسسات الدينية كذلك كان لها آثار إيجابية في النهوض الحضاري بالأمة الإسلامية، لا سيما في النهضة العمرانية، فقد أسهمت الأوقاف في حركة بناء المساجد التي تتمحور حولها الحضارة العمرانية الإسلامية، كما أنّ لها آثاراً أخرى إيجابية على جوانب اجتماعية واقتصادية لهذه الحضارة المتميزة، وحريٌّ بنا أن نشجع هذه المؤسسات ليعود لها دورها، وهنا تكون الإفادة للجميع للواقف الذي يناله الأجر الكبير الدائم ولهذه المؤسسات التي يرجى أن تستعيد دورها الرائد في نهضة الأمة وتقدمها وازدهارها.

منظومة الأوقاف

ومن جهته، يقول عضو المجلس الإسلامي السوري الداعية **أحمد بكار**، مدير أكاديمية القرآن الكريم بإسطنبول، لـ«المجتمع»: إن المؤسسات الدينية في بلاد المسلمين، وفي البلاد التي فيها تجمعات للمسلمين، لها الدور الأول والفعال في المحافظة على الهوية الإسلامية، من خلال منظومة الأوقاف، ولا بد أن نفرق بين الأوقاف المسيسة من قبل الحكومات التي ترسم سياسات هذه المنظمات، والمؤسسات الدينية التي تعمل بهامش من الحرية، وكلنا يعلم أن غير المسيسة هي أنفع ودورها أعظم في الحفاظ على الهوية الإسلامية، وخصوصاً في تطبيق الشعائر من العبادات، منها بناء المساجد وعمارتها برفع الأذان وإقامة الصلوات، وإثبات الصيام، وتنظيم رحلات الحج والعمرة، وغيرها من الشعائر، التي تذكر الناس في مجتمعاتها بهويتها وطابعها الإسلامي.

ويضيف أن خطبة الجمعة الموجهة، والمحاضرات المستمرة في توعية الناس لما يجب عليهم تجاه دينهم، الذي يعطيهم طابعاً إسلامياً يربطهم بدينهم وهويتهم الإسلامية، والمحافظة على القرآن والسُّنة، بإنشاء المعاهد الشرعية، والمجالس العلمية، التي يحمل همها العلماء العاملون المتقنون في نشر علوم القرآن والسُّنة في المدارس الشرعية أو الخاصة بطابعها الإسلامي، وهذا من أعظم ما تتسم فيه الأمة بربط أفراده بدينها وهويتها.

ومنها فقه التعامل مع غير المسلمين الذين يعيشون في بلادنا، بما لا يخالف شرع الله وأحكام الشريعة الغراء، من غير تنازل من قبل المسلمين، وخصوصاً لما يكون من ثوابت هذا الدين، وليعلم الناس جميعاً أن أول دستور مدني في التاريخ كان دستور المدينة المنورة، الذي حقق به النبي صلى الله عليه وسلم الوحدة بين سكان المدينة جميعهم من المسلمين واليهود والنصارى والوثنين، ومن جميع الإثنيات، من الأوس والخزرج، ومن المهاجرين والأنصار، ومن بقية القبائل العربية الأخرى، فإن كان هناك دين يؤصل للوحدة والهوية الإسلامية فالإسلام يأتي أولاً.

وتلك مفاهيم يجب على المؤسسات الدينية في بلادنا أن تسعى لنشرها، وإن كانت وزارات الداخلية تسعى لتحقيق الأمن من خلال محاربة الجريمة، فإن وزارات الأوقاف والمؤسسات الدينية تسعى لتحقيق الأمن من خلال الجانب الفكري، وكلاهما جناحان لا يستغنى عنهما في أي بلد، وخصوصاً في البلاد التي لا تظهر العداء للإسلام والمسلمين.■

دور المؤسسات الدينية في الحفاظ على هوية الأمة.. بين الموقفين الشرعي والسياسي

الحمداوي: حفظ هوية الأمة وصيانتها يتوقف على مجموعة من الوسائل في مقدمتها المؤسسات الدينية

الأمين: لو تحرَّرت المؤسسات الدينية من التبعيَّة السياسية لأمكنها تحقيق قفزات نوعية في بناء الوعي الديني

الرباط – عبدالغني بلوط:

تسعى الدول والمجتمعات إلى الحفاظ على هوية أمتها الحضارية والثقافية والمجتمعية، مرتكزة على نقاط القوة فيها من أجل تقدم أوطانها وازدهار شعوبها ورفع رايتها بين شعوب العالم.

وتملك المجتمعات الإسلامية ما يكفي من المقومات الذاتية والموضوعية للحفاظ على هذه الهوية وتعزيز شعورها بالانتماء إلى الأمة الإسلامية، بل الدفاع أيضاً عن مقدسات الأمة، وربط قضايا العصر بالعقيدة.

وإلى جانب عدد من الجهود المدنية، تضطلع المؤسسات الدينية الرسمية بالدور الأكبر في كل ذلك بما تملك من إمكانات مادية ضخمة وسلطة نافذة في الدولة والمجتمع.

لكن يبقى السؤال: إلى أي مدى يمكن لهذه المؤسسات أن تساهم في حفظ هوية الأمة دون أن تتماهى مع المواقف السياسية؟

دور أكبر

يقول الباحث في العلوم الإسلامية د. رشيد الحمداوي، في حديث لـ«المجتمع»: إن معالم هوية الأمة الحضارية والثقافية والمجتمعية تتحدد من خلال القرآن الكريم والتطبيق العملي لما فيه من خلال السُّنة النبوية وسيرة الصحابة والتابعين.

ويبرز الأكاديمي المغربي أن حفظ هذه الهوية وصيانتها مما يشوّه ملامحها يتوقف على مجموعة من الوسائل، في مقدمتها المؤسسات الدينية، وفي زمننا هذا صارت حماية هوية البلد الهدف الأول للمؤسسات الدينية الرسمية، فمن شأن وزارات الشؤون الإسلامية في كل بلد أن ترسم خطة لصد الأفكار الهدامة والسلوكيات المنحرفة والعادات الدخيلة من الثقافات الأخرى، وتسخّر لذلك المؤسسات الدينية التي تنضوي تحتها وعلى رأسها المساجد، فقد كان المسجد منذ عهد النبوة المؤسسة التي لها أكبر الأثر في حفظ هوية المسلمين، وذلك من خلال خطب الجمع المؤثرة، والمواعظ البليغة، والدروس العلمية النافعة، وكذلك قراءات القرآن المتقنة الخاشعة التي تترك أثرها في نفوس المصلين.

ويضيف: ولكن لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كان القائمون على هذه المؤسسات واعين بمسؤوليتهم في حفظ هوية الأمة كلها، مدركين للأخطار المحدقة بها، عاملين بجد وإخلاص في دفع ما يفسدها.

إمكانات

بدوره، يقول الباحث والكاتب الموريتاني إخليهن الرجل محمد الأمين، لـ«المجتمع»: إن المؤسسات الدينية الرسمية يمكنها أن تضطلع بالكثير من الأدوار والمهمات في سبيل حماية الهوية وتعزيز التدين داخل المجتمع وداخل الدولة؛ نظراً لأنها تمتلك ميزانيَّات رسمية ضمن ميزانيَّات الحكومات تؤهلها للقيام بذلك.

ويشير إلى أدوارها المقدَّرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية للدولة، بما تقوم به من إفتاء، ومن برامج دينية، ومن توجيه للناس، ومن رعاية للمساجد والمعاهد الشرعية، ومن إشراف على المواسم الدينية (الأعياد، الحج..).

ورغم هذه الجهود المقدَّرة التي تقوم بها هذه المؤسسات، فإن ما هو منتظر منها أكبر من ذلك بكثير.

مع ذلك، يبرز الباحث محمد الأمين أن مشكلة هذه المؤسسات تكمن في أمرين أساسيين؛ أحدهما: أنها في بعض البلدان لا تمتلك رؤية لتعزيز الهوية وحمايتها، وإنما تنطلق من آراء من يحكمونها، واجتهاداتهم الفردية لا تضبطها رؤية، ولا توجِّهها أهداف ولا غايات كبرى.

الثانية: أنها في كل بلدان المغرب العربي تابعة للأنظمة السياسية، وموجَّهة من طرفها، وليست لها من القوة والجرأة التي تجعلها تمتلك القدرة على تجاوز الخطوط الحمراء التي يضعها السياسيون في وجهها.

ويختم: فلو تحرَّرت المؤسسات الدينية من التبعيَّة السياسية؛ بما يعني ارتهان الموقف الشرعي للموقف السياسي، وامتلكت رؤية واضحة للمجال الديني؛ تشخِّص الخلل، وترسم الأهداف والغايات لأمكنها أن تحقِّق قفزات نوعيَّة في بناء الوعي الديني، وتعزيز الهويَّة الإسلامية داخل البلدان المغاربية ■

دور الأزهر الشريف في حماية الهوية

منذ تمت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين»[1]؛ تكونت على إثر ذلك المجتمعات المسلمة، وأخذت هويتها من قيم وأخلاق الإسلام وشرائعه، وكان اختلاط المسلمين بأهل البلاد الأصليين غير مانع لهم من الاحتفاظ بهويتهم، المؤسسة على قيم القرآن والسُّنة.

د. محمد أحمد عزب

مع اتساع رقعة الإسلام، نشأت المؤسسات العلمية في العراق والشام والحجاز ومصر والمغرب العربي، وكانت هي حصون الدفاع والتأسيس، ترسم الشخصية السويَّة، وتتبنى هموم المجتمع.

من أبرز تلك المؤسسات الأزهر الشريف، الذي تأسس مع تأسيس مدينة القاهرة، وبدأت الصلاة فيه عام ٣٦١هـ، وظل يرعى علوم المؤسسين له العبيدين، حتى زوال دولتهم، وأغلق بعدها الأزهر مائة عام، حتى افتتحه بيبرس عام ٦٧٢هـ، ومنذ ذلك الحين والأزهر يقوم بدوره العلمي في الحفاظ على هوية الأمة.

اشتمل الأزهر على ١٦ رواقاً للوافدين، وعلى ١٢ رواقاً لأهل مصر، وفي ظل الزمن الطويل الذي عاشه الأزهر كمؤسسة ومشيخة رسمية لها تقاليدها، كان الحفاظ على الهوية أهم ما قام به تجاه الأمة.

مظاهر الحفاظ عل الهوية

الهوية مجموع السمات والأنماط السلوكية والخصائص التي تميز الشخص أو المجتمع عن غيره، قد تتشكل وفق الزمان أو المكان، أو الثقافة، أو الدين، ونشير هنا لقضايا بارزة حافظ الأزهر فيها على هوية الأمة:

- الأزهر واللغة:

اللغة إحدى محددات الهوية وأهم العناصر التي تقوم عليها، والأمم حين تفرط في لغتها تتغير سلوكيات أفرادها بأسرع من البرق، وقد اعتنى الأزهر باللغة عناية فائقة، فحين أنشأ محمد علي مدرسة الألسن عام ١٨٣٦م، استقت المدرسة طلابها من الأزهر، وقام على تدريس اللغة العربية والأدب العربيّ فيها أبناء الأزهر، وكانت الكتب التي تدرس بها كتب الأزهر؛ كالأجرومية، والسنوسية، وغيرهما، وكتب العلوم الحديثة التي يراد نقلها إلى العربية، كان يقوم بترجمتها، ويسهر على تصحيحها أبناء الأزهر؛ فأسس هذا للنهضة الأدبية التي حدثت على يد البارودي، والمنفلوطي، وشوقي، وحافظ إبراهيم، والرافعي، وغيرهم من الشعراء والكتَّاب والمؤلفين.

- الأزهر في مواجهة الفكر السياسي المنحرف:

من المواقف المشهودة للأزهر وعلمائه تجاه الهوية السياسية للأمة، موقفه من كتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبدالرازق، وهو الكتاب الذي يصفه د. محمد عمارة بقوله: «منذ عرفت الطباعة طريقها إلى بلادنا لم يحدث أن أخرجت المطبعة كتاباً أثار من الضجة واللغط والمعارك والصراعات مثلما أثار هذا الكتاب.. وقد ترتب على صدوره معركة لم يسبق أن دار حولها كتاب من الكتب في بلادنا»[2].

لقد تعرض الكتاب لأحد الثوابت السياسية في فقهنا الإسلامي، فنزع مستقراً فيه، فجاء حكم الأزهر يعيد الأمور لنصابها، متصدياً بحزم لأحد أفراد هيئته، وفصلته منها لأنه صادم بكتابه أحد محددات الهوية للأمة.

وقد تصدى الأفراد الأزهريون لفكر الكاتب، فكتب الشيخ الخضر حسين، شيخ الأزهر، رداً عليه، وكذا كتب الشيخ بخيت المطيعي، وهكذا وقف الأزهر؛ مؤسسة وأفراداً، للانحراف عن الفكر الصحيح والتصور الراشد لشكل الحكم الإسلامي، وهو جانب يتماس مع الهوية تمام التماس.

من المواقف المشهودة للأزهر وعلمائه تجاه الهوية السياسية للأمة موقفه من كتاب «الإسلام وأصول الحكم»

العلماء والطلاب الأزهريون كانوا أهم حوائط الصد أمام الغازي المحتل وضد بغي وظلم وعسف بعض الأمراء

موقف الأزهر من الإجرام الصهيوني لا يزال الأفضل في المواقف وأقرب لهوية الأمة وقضيتها النازفة في غزة

- الأزهر والمحتل:

تصدى علماء الأزهر للاحتلال، وكان العلماء والطلاب الأزهريون أهم حوائط الصد أمام الغازي المحتل، وكانوا هم من يحركون العامة ضد الاحتلال، بل ضد البغي والظلم والعسف الذي مارسه بعض الأمراء.

ولا شك أن تضامن الأزهر كمؤسسة، وكأفراد ضد الغازي المحتل هو من صلب المحافظة على الهوية؛ لأن المظالم حين يمارسها المحتل أو الحاكم تحوِّل أخلاق الناس، وتجعلهم يتنازلون عن سماتهم الحضارية، لما ينتج عنه من الذل والمهانة للمظلوم.

حدث هذا مع الاحتلال الفرنسي، وحدث مرات عديدة مع بعض الأمراء، حيث أمر الشيخ الشرقاوي بغلق الجامع الأزهر، كتعبير عن عصيان مدني لمظالم الأمراء، ويعقب أ. محمود شاكر على ذلك قائلاً: «ثورة المشايخ على المماليك جزء من اليقظة، انتهت بإعلان المماليك توبتهم ورجوعهم عن مظالمهم، وتبينوا أن مشايخ الأزهر قد صاروا طليعة هذه اليقظة وقادتها، وأن سلطانهم على العامة والجماهير قد أرهب المماليك وأفزعهم»[٢].

- الأزهر والقضايا المعاصرة:

زُرع الكيان الصهيوني في قلب العالم العربي والإسلامي كالشوكة، وظل موقف الأزهر حيال زيارة القدس في ظل سيطرة الكيان ثابتاً، حيث منع وحرم زيارة القدس طالما بقي الاحتلال قائماً، ووقف من التطبيع موقفاً شديداً، كما رفض جل شيوخه استقبال قادة الكيان ومسؤوليه.

ومن المواقف التي تبناها الأزهر كمؤسسة رفضُ الشيخ جاد الحق، شيخ الأزهر، وثيقة مؤتمر السكان بالقاهرة، ورفض وثيقة المرأة الصادرة عن مؤتمر بكين عام ١٩٩٥م؛ لما تضمنتا من ترسيخ للانحلال الأسري القاضي على الهوية الراسخة للأمة.

وتصدى الأزهر لبدعة تخالف هوية الأمة والمجتمع؛ وهي اختيار ملكة جمال النيل، فكتب الشيخ جاد الحق مقالة بعنوان «أوقفوا هذا العبث باسم وفاء النيل»، ولم يرق له أن ينساق المجتمع المصري المسلم نحو هذه العادة الغربية الفاحشة في فحص الأجساد وعرضها باسم ملكة الجمال!

وتصدى شيوخ الأزهر لظاهرة التكفير التي برزت في المجتمعات وخاصة المجتمع المصري، وكانوا هم الوحيدين الذي ناظروا التكفيريين، وأحدثوا خللاً في طرائق تفكيرهم، وكتب الشيخ يوسف القرضاوي كتابه «ظاهرة الغلو في التكفير» كبيان شاف حول هذه الظاهرة التي تنال من هوية الأمة الوسط في مسائل الإيمان بين من يكفر بالذنب، ومن يعتبر التلفظ بالإيمان وحده كافياً، حتى ولو ارتكب صاحبه سائر الموبقات.

وكانت مواقف الأزهر حيال بعض الكتابات والأعمال الفنية التي تجسد الصحابة، أو تروم تجسيد الأنبياء واضحة لا جدال فيها، فهي تمنع ذلك حفاظاً على هوية الأمة ودينها من أن تنهار المثل العليا في حياتهم، فالمُثل العليا أحد مكونات الهوية، وأحد المنارات التي تظل الأمم تتمثلها وتلبس عباءتها.

تعد المواقف والإنتاج العلمي لشيوخ العصر كالشيخ مصطفى المراغي، وعبدالمجيد سليم، والخضر حسين، وعبدالحليم محمود، ومتولي الشعراوي، ومحمد الغزالي، ويوسف القرضاوي، وعبدالله دراز.. وغيرهم من المشايخ أحد أهم عوامل الحفاظ على الهوية؛ نظراً لأثرهم البالغ في عموم الناس، وتبنيهم بجسارة قضايا الأمة المتعلقة بهويتها وشخصيتها الفريدة.

بل القامات الكبرى التي أسهمت في الحفاظ على شخصية الأمة وهويتها من رجالات دار العلوم، كانوا من أبناء الأزهر، حيث كان النابهون من الأزهريين ينتقلون إليها، فإذا أضفنا لذلك الجمعية الشرعية بمؤسسها الشيخ الأزهري خطاب السبكي، وجماعة أنصار السُّنة بمؤسسها الشيخ الأزهري حامد الفقي، وما كان لهاتين الجمعيتين من أثر بالغ في الحفاظ على هوية الأمة وشخصيتها؛ عرفنا كيف كان الأزهر أحد أهم الحصون التي عرف الأعداء أهميته، حتى كتب جلال كشك «ودخلت الخيل الأزهر»؛ حسرة لما حدث له.

ولا يزال موقف الأزهر متمثلاً في شيخه الشيخ أحمد الطيب من الإجرام الصهيوني هو الأفضل في المواقف وأقرب لهوية الأمة وقضيتها النازفة في غزة.■

الهوامش

(١) أخرجه أحمد، وهو صحيح.

(٢) معركة الإسلام وأصول الحكم، ص١٢.

(٣) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص ١٢٩.

دور المؤسسات العلمائية والدعوية بفلسطين في تعزيز القيم الأخلاقية والجهادية

د. مـــروان أبو راس
رئيس فرع فلسطين في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران)، لقد حرص الاحتلال الصهيوني على نشر الانحلال بجميع أشكاله بين أبناء المجتمع الفلسطيني كله، عن طريق فتح أبوابه أمام العمالة في مجتمعه الفاقد لأدنى درجات القيم والأخلاق، كذلك وجود القناة الإعلامية الوحيدة التي كانت تدخل كل بيت فلسطيني فيتلقى ما يوجهه له المحتل.

وما فعله الاحتلال من إطلاق المعتقد الإلحادي عن طريق أصحاب هذا التوجه الذي تجرأ مستغلاً الفراغ الذي ساد المجتمع الفلسطيني في ذلك الوقت، وقد أدى بزوغ نجم الفكر العلماني المغلف بغلاف الوطنية ومقاومة المحتل مما يستهوي فئات عديدة من أبناء المجتمع كل ذلك بترتيب وتخطيط من المحتل الذي عمل على السيطرة الفكرية والقيمية والأخلاقية إلى جانب السيطرة العسكرية والإدارية.

العودة إلى القيم والأخلاق الإسلامية:

إدراكاً من الغيورين والحريصين على سلامة المجتمع الفلسطيني وبالخطر الكبير الذي يمارسه الاحتلال، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: ١٠٩)، فقد نشطت العديد من المؤسسات العلمائية والدعوية بالقيام بالتصدي لهذه الفتن والمخططات الهادمة للقيم والأخلاق، وقد بدأت هذه الأنشطة عن طريق افتتاح مراكز التحفيظ للقرآن الكريم، وإلى جواره دروس من القيم والأخلاق المستنبطة منه، ودروس من السيرة النبوية العطرة والأحاديث النبوية الشريفة؛ مما استقطب الكثيرين من أبناء المجتمع بجميع أطيافه، وأصبحت فلسطين وخاصة غزة أيقونة لإنتاج الحفظة بالآلاف من خلال «تاج الوقار»، ثم «صفوة الحفاظ»، ثم السرد على جلسة واحدة، وقد تألق في هذا العطاء الدافق كل من دار القرآن الكريم والسُّنة، كذلك قسم التحفيظ في وزارة الأوقاف.

وقد تميزت بعض المؤسسات تميزاً فريداً وما زالت في هذا الإنجاز القرآني الفريد، التي منها:

- دار القرآن الكريم والسُّنة:

تعتبر من أنشط وأهم الجمعيات فاعلية وإنجازاً لهذا المشروع الحيوي الكبير، وقد أبدعت هذه الدار في الحفظ والتثبيت والتعليم والتلاوة والقراءات والفضائل والمتابعة والتشجيع وكل ما من شأنه إنشاء جيل قرآني متميز؛ حفظاً وعلماً وأخلاقاً وقيماً.

- الأوقاف:

أنشأت وزارة الأوقاف مراكز تحفيظ في عدد لا بأس به من المساجد، ونشطت أيما نشاط في غزة والضفة، وسارت على نفس النهج الذي سارت عليه دار القرآن، ولكن التجاذبات السياسية أثرت سلباً على عمل مراكز التحفيظ التابعة لها في الضفة الغربية وحاربها الاحتلال في الداخل.

وأما في غزة، فقد كان للأوقاف دور كبير

ونشط في هذا الميدان في فتح مراكز التحفيظ بالمساجد، حيث أصبح في المسجد عدة حلقات تحفيظ تتسابق فيها المراكز التابعة لدار القرآن مع المتابعة للأوقاف؛ مما أدى إلى تكامل أثمر إنتاجاً طيباً من المحبين والشغوفين في حفظ القرآن الكريم وتعلم أحكامه وأخلاقياته وقيمه.

- الجمعيات:

هناك جمعيات إغاثية لها تواصل مباشر مع المجتمع، وقد كان لها دور مؤثر كذلك في الإسهام في تعزيزه، عن طريق إما افتتاح مراكز خاصة بها في المساجد وأدى إلى نتائج أوسع، ومساحات أرحب، ومن أشهر هذه الجمعيات التي مارست ذلك جمعية الصلاح الإسلامية، وجمعية المجمع الإسلامي هذا في غزة، أما في الضفة فهناك جمعيات نشطت في هذا المجال على رأسها مؤسسة زكاة المال المنتشرة في أماكن مختلفة في الضفة الغربية.

وأما في سياق الدعوة إلى القيم والأخلاق، فقد أصبحت المساجد في فلسطين المحاضن الأساسية لهذا الهدف، فانتشرت الدروس الوعظية والمنهجية، وتم التركيز على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتميزت خطبة الجمعة بتوجيهات خاصة لهذا الغرض، خاصة بعد الانسحاب الصهيوني من قطاع غزة وأجزاء من الضفة الغربية، وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١).

فانتشر الحجاب في جميع أنحاء الوطن المحرر بعد أن غاب فترة من الزمن، وقد كان للجامعة الإسلامية بمقرراتها وقوانينها المنبثقة عن أحكام الشرع الحنيف دور بالغ في هذا التغيير القيمي والأخلاقي العظيم.

وقد نشطت مؤسسات أخرى في تقويم المجتمع ورده إلى أصله القويم؛ وهو الاستقامة على منهج الله تعالى، فقد تأسست عام ١٩٩٢م رابطة علماء فلسطين وحاربها الاحتلال ومنع نشاطاتها، إلا أنها نهضت من جديد في غزة بعد انسحاب الاحتلال، وأسست عملاً منتظماً تضمن جوانب دعوية وتوجيهات سلوكية وضوابط

فلسطين وخاصة غزة أصبحت أيقونة لإنتاج الحفظة بالآلاف من خلال «تاج الوقار» و«صفوة الحفاظ»

دار القرآن الكريم والسُّنة من أنشط الجمعيات فقد أبدعت في إنشاء جيل قرآني حفظاً وعلماً وأخلاقاً

الفصائل انتبهت للدور المهم للمؤسسات العلمية والدعوية فقامت بتأسيس جمعيات علمية ودعوية

أخلاقية منسجمة مع الشرع الحنيف من خلال الدروس المنهجة في المساجد التي تضمنت الوعظ والإرشاد وتقويم المجتمع وتنقيته مما لحق به من شوائب النفوس والإرث المتراكم جراء الاحتلال وغيره، وتعزيز التواصل مع فئة الشباب وتشجيعهم على دراسة التخصصات الشرعية.

وقد تضمن ذلك التوعية الدينية بأهمية الجهاد ومكانة المجاهدين ومنزلة الشهيد عند الله تعالى، تم ذلك بطرق مختلفة، إضافة إلى عقد لقاءات بين العلماء والدعاة وأطياف معينة من الشباب الواعد، وعقد الدورات التثقيفية والأيام الدراسية والمؤتمرات العلمية والملتقيات الجماهيرية لمعالجة هذه المواضيع الأساسية وغيرها.

وقد قامت كوكبة من العلماء من هذه المؤسسة وغيرها بالإجابة عن أسئلة المواطنين وتصدير الفتاوى الآنية لهم عن طريق التواصل المفتوح مع الجمهور، حيث تمكن كل مواطن الاتصال بالعلماء وسؤالهم عما يهمه من طوارئ وقعت في الحياة العامة والمناسبات الخاصة، مثل رمضان وأحكام الصيام والحج والأضحية وغيرها من العبادات، ثم خصصت هذه المؤسسات حيزاً مهماً لأحكام الطبيب الخاصة، وكذلك المرضى، وتوجيهات فقهية للتجار وغيرهم.

- لجان الإصلاح والملتقيات الدعوية:

ومن باب التواصل مع المجتمع ومعالجة همومه ومشكلاته، فقد تم تأسيس قرابة ٥٠ لجنة إصلاح لفض الخلافات والخصومات بين الناس، وذلك عن طريق التراضي، فإن لم ينفع التراضي فالتقاضي، ويقضي في الخصومة علماء متخصصون في الفقه ومختلف التخصصات الشرعية، وقد حظيت لجان الرابطة بالثقة الكبيرة في جميع أوساط المجتمع بمختلف شرائحه وتوجهاته.

لقد تم تأسيس فرع للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في فلسطين وذلك عام ٢٠١٢م ومقره المؤقت في غزة، تكامل مع المؤسسات الموجودة العاملة في حقل الدعوة والتربية، وقد تخصص في عمل ملتقيات دعوية كبيرة في المساجد والمنتديات العامة، كان أهمها في المدارس الثانوية طلاباً وطالبات، حيث كان هذا الفرع ينجز أكثر من ١٥٠ ملتقى دعوياً في كل عام دراسي عن طريق دعاة شباب متخصصين، وعمل أيام دراسية ودورات توعوية حول بعض المواضيع الشائكة التي أساء بعض الشباب فهمها؛ فأدت إلى انحرافات فكرية انعكست على ممارسات خطيرة، حيث قام الفرع بعمل أكثر من ٢٠٠ دورة علمية في المساجد وللدعاة ولأفراد الشرطة والمجاهدين ومن عندهم هذه الانحرافات، وكان لهذه الدورات أثر كبير في تقويم الفكر والسلوك وضبط الفهم والمعرفة.

وقد انتبهت التنظيمات والفصائل لهذا الدور المهم للمؤسسات العلمية والدعوية فقامت بتأسيس جمعيات علمية ودعوية نشطت كذلك كل حسب إمكانياته وقامت بدور مشكور، وقد تكاملت هذه المؤسسات جميعها في العمل المشترك والقيام بواجب الوحدة الوطنية وتعزيز اللحمة الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني؛ مما كان له دور مهم في تقارب الفهم والوعي بين المجاهدين المقاومين.■

دور المؤسسات الدينية التركية في احتواء اللاجئين ومعالجة قضاياهم الدينية والاجتماعية

اعتاد الشعب التركي طوال تاريخه منذ تأسست الإمبراطورية العثمانية على التعايش مع إخوانهم المسلمين من كافة أصقاع العالم الإسلامي من قارات الدنيا من مختلف الأعراق والأجناس والقوميات، بل والألسنة واللغات؛ ما جعل اليوم من إسطنبول الملجأ الأول والحضن الأكبر لجميع المظلومين والمضطهدين في العالم الإسلامي، لا سيما أبناء بلدان «الربيع العربي»، ويعتبرونهم ضيوفهم بمنزلة المهاجرين وهم لهم الأنصار.

حوار- مجاهد الصوابي:

بداية، يؤكد د. عبدالوهاب أكينجي، رئيس جمعية علماء المسلمين في تركيا، لـ«المجتمع»، أنه يوجد في تركيا ملايين من اللاجئين الذين لجؤوا إليها فراراً من الضغوط التي كانوا يعيشونها في بلادهم، وفراراً من الظلم الذي وقع عليهم في مختلف الأقطار، وأن المؤسسات الدينية التركية لها دور رائد وفعال في دعم ومساعدة اللاجئين في المجالين الديني والاجتماعي.

ويضيف أن تركيا في عهد العثمانيين كانت ملجأ للمظلومين وللأقليات الذين أُجبروا على اللجوء إلى الدولة العثمانية، وهذه أصبحت ثقافة تاريخية من ثقافة الشعب التركي، وهي استقبال اللاجئين والترحيب بهم، والسبب الثاني الذي له تأثير في هذا الدور الإيجابي هو الإيمان والأخوة الدينية التي تربط الأتراك بإخوانهم اللاجئين، وهنا المؤسسات الدينية التي تستند إلى الدين الحنيف يعتبرون ذلك واجباً من واجباتهم التي يجب أن يقوموا بها وهي أداء حقوق الأخوة بينهم وبين غيرهم، وخصوصاً بين إخوانهم المظلومين الذين أتوا إلى تركيا طلباً للحماية والأمان.

والمؤسسات الدينية منها ما هو ضمن مؤسسات المجتمع المدني، وهناك مؤسسات حكومية تابعة للدولة مثل شؤون الديانة التي لها دور فعال في القيام بواجباتها تجاه اللاجئين بتوفير كل ما يحتاجون إليه؛ وهما شيئان أساسيان؛ أولاً: الحضانة والترحيب وإحساسهم بروح ومعاني الأخوة، والحمد لله المسلمون والمؤسسات الدينية في تركيا لا ينظرون إلى اللاجئين على أنهم أجانب؛ بل يعتبرونهم من أنفسهم وضيوفاً، ويحاولون أن يطبقوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم فليكرم ضيفه».

ويشدد على أن هذا الإحساس هو في الحقيقة واجب من الواجبات، والحمد لله المسلمون ومؤسساتهم الدينية يقومون بهذا

الأتراك يعاملون اللاجئين باعتبارهم ضيوفاً في منزلة المهاجرين وهم الأنصار لهم

الحفاوة بالمهاجرين كانت كبيرة جداً في السنوات الخمس التي أعقبت «الربيع العربي»

الواجب خصوصاً ضد المؤامرة القومية التي تحاول الادعاء بأن هناك فاصلاً بين تركيا واللاجئين، وفي الوقت نفسه مد يد العون للاجئين، والحمد لله يمكن أن نقول: إن المؤسسات الدينية أيضاً لهم دور إيجابي في هذا الموضوع.

وختم أكينجي بالدعاء أن يجعلنا من الذين يهتمون بأمر المسلمين وبمشكلات المؤمنين حتى لا نقع تحت طائلة الحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم: «من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، ونعوذ بالله من أن نفرط في حق إخواننا المهاجرين ونحن لهم بمثابة الأنصار.

حفاوة كبيرة

من جهته، يقول الأكاديمي والباحث السياسي التركي مهند حافظ أوغلو، لـ«المجتمع»: إن المؤسسات الدينية التركية تحاول القيام بواجبها وما يقع على عاتقها من مهام دينية وإنسانية في آن واحد، فيما يتعلق باللاجئين لحل مشكلاتهم الاجتماعية وبالفتاوى الدينية التي تناسب الحياة الجديدة التي انتقلوا إليها في بلد مختلف في طريقة معيشته ومذهبه الفقهي عما في بلدانهم، ويساعد على ذلك أن تركيا دولة مؤسسات، وبالتالي كان هناك الكثير من الاختلافات البنيوية الهيكلية في المسائل الاجتماعية والفقهية والدينية، وبناء عليه تحاول هذه المؤسسات الدينية بالفعل أن تقدم ما يجب أن تقدمه وتمد يد المساعدة ما استطاعت للإخوة اللاجئين.

ويضيف: هذه المؤسسات قامت بتقديم الكثير من المساعدات على كافة المستويات، لا سيما في المرحلة الأولى من نزوح اللاجئين في أول ٥ أعوام بعد توابع أحداث «الربيع العربي»، وبالتحديد في عام ٢٠١٣م، وكان هناك اختلاف كبير في التعامل من المؤسسات الدينية، وكان الاحتضان والدعم كبيرين للاجئين الأوائل، وظلت هذه المؤسسات مستمرة حتى هذه اللحظة تحاول أن تقوم بواجبها، ولكنها ليست بذات القوة الحجم السابقين في دعمها وتعاونها في السنوات الخمس الأول.

ويلفت حافظ أوغلو إلى أن ذلك يرجع لاختلاف الوضع الداخلي في تركيا اليوم عنه في تلك المرحلة، سواء على المستوى الاقتصادي أو من التشاحنات الانتخابية بين الأحزاب، وهذا يؤثر بطبيعة الحال شئنا أم أبينا سلباً على عمل المؤسسات الدينية، ولكنها حتى هذه اللحظات تناضل وتجاهد من أجل أن تصل بالمستوى المطلوب لدعم اللاجئين في التغلب على قضاياهم الاجتماعية بشكل أساسي من خلال الدعم المعنوي أو المادي المباشر، والشواهد أكثر من أن تحصى على ذلك على أرض الواقع اليوم.

بمنزلة المهاجرين

وفي السياق، يقول د. يوسف كاتب أوغلو، المحلل السياسي والاقتصادي التركي: إن الشعب التركي ومؤسساته على الصعيد السياسي والديني والاجتماعي لا يتعاملون مع الوافدين إليه من مختلف البلاد العربية والإسلامية كلاجئين؛ بل يعتبرونهم إخوة لهم ويصفونهم بالمهاجرين وهم لهم كالأنصار.

ومن أهم المؤسسات الدينية التركية المعنية بهذا الأمر رئاسة الشؤون الدينية، وهي جهة حكومية بنص الدستور التركي، تعنى بترتيب وتنظيم كل ما له علاقة بالشؤون الدينية والاجتماعية في عموم تركيا، ولها دور أساسي وبارز في موضوع دعم واحتضان اللاجئين، ونحن نسميهم «الضيوف»، ومعالجة قضاياهم الدينية والاجتماعية لهؤلاء الضيوف الذين هُجروا وأجبروا على ترك ديارهم بسبب الحروب أو لخطورة بقائهم في ظل أنظمة قمعية وأوضاع غير مستقرة.

فهنالك الدور التعليمي لمساعدتهم على الاندماج مع المجتمع التركي من تعليم اللغة التركية والقوانين وتعليم أبنائهم في المدارس بالمجان وتشرف عليه جهات حكومية بداية من هيئة الهجرة التابعة لوزارة الداخلية؛ فضلاً عن إعطائهم هويات إقامات مختلفة، منها الإنسانية والمؤقتة والسياحية والدائمة؛ نظراً لظروفهم غير المستقرة نسبياً، نتيجة أن هؤلاء مهددون ومعرضون للخطر من قبل أنظمة استبدادية في بلادهم؛ لذلك تستوعبهم تركيا وتقوم المؤسسات الدينية بدور مهم في هذا الإطار، وإتاحة دورات مهنية لتوفير فرص العمل، وكذلك دورات تعليمية وثقافية واجتماعية وغيرها، كما تتيح الحكومة التركية إمكانية تأسيس جمعيات للمغتربين وللضيوف من الإخوة اللاجئين.

ويختتم كاتب أوغلو كلامه بأن هذا أمر طبيعي لتركيا، فهي سليلة الإمبراطورية العثمانية التي حكمت العالم لأكثر من ٥ قرون، وكانت ملجأ لكل المضطهدين من كل دول العالم سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهوداً؛ ولذا تركيا في عهد الرئيس أردوغان وحزب الحرية والعدالة مصممة على المضي في الطريق نفسه لكي تكون ملجأ لكل المظلومين والمضطهدين في العالم أياً كان دينهم أو جنسيتهم.■

مسؤولو الدعوة بمختلف قارات العالم يؤكدون لـ«المجتمع»:

الفتاوى الرسمية الواعية «سفينة النجاة» للمحافظة على الهوية الإسلامية

يعاني المسلمون في دول الأغلبية والأقلية من الحرب على الهوية الإسلامية، بطرق مختلفة، لكنها تمثل في النهاية تهديداً لحاضر ومستقبل الإسلام فيها، وهنا نستعرض آراء علماء بعض الدول عن دور الفتاوى الرسمية في تأكيد الهوية الدينية، ونشر الوعي الديني، ومواجهة تيارات «الإسلاموفوبيا»، والصراعات المذهبية بين المسلمين أنفسهم.

حسين: لدينا فتاوى تؤكد المحافظة على الهوية ومواجهة التهويد واقتلاعنا من أرضنا المحتلة

تحقيق - جمال سعد:

في البداية، يقول الشيخ محمد حسين، مفتي القدس والديار الفلسطينية: فتاوى تأكيد الهوية العربية والإسلامية لشعبنا تعود لبداية تاريخ الصراع الفلسطيني-الصهيوني، إحساساً من العلماء بخطورة الأوضاع التي يعيش فيها شعبنا، وهناك فتاوى قديمة لعلماء فلسطين -قبل إنشاء دار الإفتاء- بتحريم وتجريم بيع الأراضي لليهود أو التعاون مع الغاصبين، والتصدي للمؤامرات على فلسطين وتهويد القدس وهدم المسجد الأقصى وإقامة «الهيكل» المزعوم.

وأوضح أن دار الإفتاء الفلسطينية الحالية تعد المرجعية الدينية الاجتهادية العليا منذ إنشائها عام ١٩٩٤م، وتصدر فتاوى تؤكد المحافظة على الهوية ومواجهة مؤامرات التهويد واقتلاعنا من أرضنا، وتم استحداث ١٥ داراً للإفتاء كان أولها بالقدس لتصدر فتاوى تدعم وحدة شعبنا، وتحريم وتجريم الفرقة والتشرذم، ودعم الجهاد ضد المحتلين الغاصبين، والتصدي للجيش الصهيوني واعتداءات المستوطنين الغاصبين الذين يعيثون في الأرض فساداً، وهذا لا ينفصل عن الفتاوى الحياتية.

وأشار إلى وجود فتاوى تقوية التعاون مع المؤسسات الوطنية والدولية، لعرض تفاصيل وتطورات الأوضاع في الداخل والحصول على الدعم العربي والإسلامي والدولي، ونشر الفتاوى وإعداد وترجمة للبحوث الفقهية ونشرها بمختلف اللغات، واللجوء للاجتهاد الجماعي في المسائل الفقهية الشائكة لمنع الانقسامات؛ لأن رسالتنا الأولى الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية لفلسطين، ومراجعة القوانين والدساتير، والتصدي للاعتداءات الصهيونية على دور عبادتنا الإسلامية والمسيحية، ومحاولات طمس هويتنا وتاريخنا، وصبغ وطننا بالطابع اليهودي.

مشيخة البوسنة

ويوضح د. مصطفى سيرتش، المفتي السابق للبوسنة والهرسك، أن فتاوى المؤسسات الدينية في بلاده -التي تتبع المشيخة الإسلامية- أدت دوراً كبيراً في المحافظة على هوية المسلمين فيها، ليكون دورها تجسيداً حياً لدور فتاوى العلماء المخلصين الذين حافظوا على هوية المسلمين منذ دخول الإسلام لمنطقة البلقان قبل أكثر من ٦٠٠ عام بالتقويم الهجري، على يد العثمانيين في عصر محمد الفاتح، وكانت عرقية البوشناق أكثر إقبالاً على الإسلام، وتمسكوا بهويتهم بإنشاء مساجد ومدارس إسلامية لمنع المسلمين من الذوبان في العرقيات والأديان المنتشرة في البلقان.

د. سيرتش: فتاوى علماء البوسنة تجسدت بأهمية التمسك بالدين والدفاع عنه بالنفس والمال

د. متولي: فتاوى المؤسسات الإسلامية بالبرازيل لمقاومة أخطار الذوبان بمجتمعات مسيحية

د. روال: مجلسنا مسؤول عن المسلمين بجنوب السودان وتعزيز الهوية الإسلامية ولغة القرآن

هيتيمانا: فتاوى المؤسسات الرسمية حفظت مسلمي رواندا من الذوبان خلال الحرب الأهلية

وأوضح سيرتش أن فتاوى علماء المسلمين تجسدت في أهمية التمسك بالدين والدفاع عنه بالنفس والمال، وخاصة أنهم تعرضوا لمحاولات طمس هويتهم، وأكثرها دموية وعنف على يد الصرب المتعصبين، سواء قبل إنشاء الاتحاد اليوغوسلافي عام ١٩١٨م الذي كان معادياً للإسلام، أو بعده حتى إعلان استقلال البوسنة عام ١٩٩٢م، إلا أن الصرب أعلنوا استمرار حرب الإبادة وطمس هوية المسلمين وصدور قرارات محكمة مجرمي الحرب اليوغوسلافية عام ١٩٩٣م، ومع هذا استمر العلماء في إصدار فتاوى تأكيد الهوية.

وأشار إلى استمرار دور فتاوى المشيخة الإسلامية في المحافظة على هوية المسلمين من الإجابة عن أسئلة العبادات أو المعاملات فيما بينهم أو مع غير المسلمين، باعتبار أن البوسنة ما زالت متعددة الأديان والعرقيات حيث يعيش مع المسلمين الصرب والكروات، وقامت المشيخة بأرشفة وحفظ فتاوى علمائها، وأنشطة هيئاتها ومؤسساتها ابتداء من عام ١٨٨٢م متاحة؛ لأنها إرث ديني وتاريخي لهويتنا التي نعتز بها وضحينا من أجلها، ومعظم هذه الوثائق التاريخية مكتوبة باللغات البوسنية والعثمانية والعربية والألمانية وغيرها، وتم جمعها في حوالي ٢٥٠٠ مجلد.

اللاتينية والكاريبي

من جانبه، يؤكد د. عبدالحميد متولي، رئيس المجلس الأعلى للأئمة والشؤون الإسلامية بأمريكا اللاتينية والكاريبي، دور الفتاوى في الحفاظ على الهوية منذ دخول الإسلام إلى تلك الأراضي، عن طريق التجار والمهاجرين في ٤ فترات زمنية.

وأوضح أن فتاوى المؤسسات الإسلامية، خاصة في أكبر تجمع لهم بالبرازيل، تهتم بمقاومة أخطار الذوبان في مجتمعات غالبيتها مسيحية، ويكثر الزواج بين المسلمين وغير المسلمات، ويحدث زواج مدني بين مسلمات وغير مسلمين، أو وجود صداقات وعلاقات غير شرعية، والمعاناة لعدم وجود الطعام الحلال بسهولة.

ولفت إلى وجود فتاوى تؤكد أهمية إجادة الدعاة لغات الدول التي يتكلم أغلبها بالإسبانية والبرتغالية وغيرها للتواصل ودعوة غير المسلمين، ونشر الوعي بين المسلمين الجدد في بلاد متعددة الثقافات والعادات، وتتميز بعدم وجود ميراث تاريخي عدائي ضدنا.

وشدد متولي على ضرورة تطوير الأداء الدعوي والإفتائي معهم، واستخدام وسائل التواصل الحديثة للمحافظة على الهوية الإسلامية، خاصة مع تصاعد «الإسلاموفوبيا»، ووجود صراعات مذهبية وسياسية بين المسلمين، التي أصدر المجلس بخصوصها فتاوى تؤكد وحدة المسلمين وتحرم وتجرم الصراعات المذهبية والفكر المتطرف.

رغم انفصال دولة جنوب السودان عام ٢٠١١م، فإن فتاوى المؤسسات الإسلامية الرسمية ما زالت قوية، هذا ما يؤكده د. عبدالله روال، الأمين العام للمجلس الإسلامي منذ عام ٢٠١٨م، ويقول: مجلسنا المسؤول عن المسلمين هنا في الجنوب، وفتاواه تؤكد الهوية الإسلامية والاعتزاز بلغة القرآن، في محاولة لحماية تلك الأقلية من الذوبان رغم عدم وجود تقديرات دقيقة للتوزيع السكاني، فإنه ينتشر بين من لا دين لهم.

وعن الوضع الحالي ودور الفتاوى الرسمية في المحافظة على هوية المسلمين وسط مجتمع كانت غالبيته لا دين لهم، قال روال: عندما قامت الحرب الأهلية لنيل الاستقلال، خرج الوثنيون من القرى إلى المدن، وتحولوا للمسيحية والإسلام، وتناقصت أعداد الوثنيين جداً، وارتفع عدد المسلمين ليصبح ٢٥% من عدد السكان البالغ عددهم ١٢ مليون نسمة.

وشدد قائلاً: نحن أقلية نشطة تتمتع بحرية، ولدينا أكثر من ٣٠٠ مسجد جامع، ومدارس ومعاهد ومؤسسات إسلامية نشطة، وأصدرنا فتاوى تدعو للإقبال على الأوقاف والتعايش السلمي مع غير المسلمين ونبد التطرف والعنف باسم الإسلام، وجميعنا على مذهب أهل السُّنة والجماعة، وتم اعتماد العربية كلغة رسمية كالإنجليزية، ومراجعة المناهج الجديدة بالعربية لتدرس بالمدارس.

وقال: أبشر المسلمين العرب أن بلدنا الوحيد الذي ليس فيه قبائل عربية، بينما نحن جميعاً نتحدث العربية، ولدينا ٦٤ قبيلة أفريقية ١٠٠%، يتحدثون العربية، وغالبية المسيحيين يتحدثون العربية، والدول الأفريقية المجاورة يتعلمون العربية لدينا، وقد قدمت حكومتنا طلب الانضمام للجامعة العربية كعضو مراقب.

مسلمو رواندا

من جهته، يؤكد الشيخ سالم هيتيمانا، مفتي رواندا، أن فتاوى المؤسسات الرسمية ساهمت في حماية مسلمي بلاده من الذوبان، وخاصة خلال الحرب الأهلية، ورفضت الإبادة الجماعية بحق أقلية التوتسي، وهذا ما جعل المسلمين «حمامة سلام» منذ دخول الإسلام عام ١٨٩٠م، عن طريق التجار العرب من اليمن وعُمان، لافتاً إلى أنه تم بناء المساجد التي أصدر علماء منها فتاوى تحرص على تعزيز هوية المسلمين الذين دخل دينهم لرواندا قبل المسيحية.

وأوضح أنه تم إنشاء مساجد ومدارس قرآنية تخرج علماء يعلمون أبناء المسلمين دينهم ليحافظوا على هويتهم، وكذلك فتاوى دار الإفتاء والمعهد الإسلامي للعلوم الشرعية والعربية الذي أنشئ عام ١٩٧٤م، وخرج منه أكثر من ٦ آلاف داعية يرسخون عقيدة المسلمين وهويتهم ولغة القرآن، وعددهم الآن أكثر من ١٥%.■

دور المؤسسات الدينية في الحفاظ على الهوية الوطنية

د. مسعود صبري
محاضر بكلية الشريعة - جامعة الكويت

أنشئت المؤسسات الدينية في الدولة الوطنية المعاصرة لتمثل طابع المجتمع المسلم في بلادنا، ولتحافظ على هوية تلك المجتمعات الإسلامية التي تنتمي إلى دين الإسلام، وينتمي غالب ساكنيها إليه، فحين نتكلم عن الهوية الوطنية في البلاد العربية؛ فهي الهوية الإسلامية في المقام الأول، التي تعبر عن غالب انتماء أهله، وإن وجدت انتماءات دينية أخرى، فقد كفلها الإسلام والقانون لأهلها، وهذا ما وجد دستوراً في كتاب الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وليس بصحيح أن تمثل الهوية الوطنية في بلاد المسلمين أنها لا تنتمي إلى الإسلام، أو لا اعتبار للإسلام فيها، فتلك مغالطة كبرى من بعض المفكرين المنتسبين إلى الإسلام اسماً، وإلى الحضارة الغربية هوى وعقلاً، وثمة فرق كبير بين بلاد المسلمين وبلاد غير المسلمين من ناحية الهوية.

ولا شك أن المؤسسات الدينية في بلاد المسلمين لها دور كبير جداً في ترسيخ الهوية الوطنية، والانتماء إلى أوطاننا المسلمة التي يُعبد فيها الله تعالى ويُذكر فيها اسمه، ويُطبَّق فيها شرعه، ومن أهم معالم مساهمة المؤسسات الدينية في الحفاظ على الهوية الوطنية ما يلي:

أولاً: مسؤولية إقامة الشعائر:

وزارة الأوقاف أو هيئة الشؤون الدينية في بلاد المسلمين تقوم مسؤوليتها على إقامة الشعائر؛ كبناء المساجد وتوفير أماكن العبادة للناس؛ مما يساهم في الاستقرار النفسي للناس تجاه الدولة وقيامها بما يجب عليها من خدمة الناس في ممارسة الشعائر الدينية، ويعزز من الانتماء الوطني للناس من خلال الخدمات المقدمة في الشأن الإسلامي.

فحين يرى الناس أن المساجد عامرة، وأنه يهتم بنظافتها والقيام بشأنها يحمدون للدولة تلك العناية؛ ما يساهم في حفظ النسيج الوطني والحفاظ على الهوية الوطنية للقيام بمسؤولية إقامة الشعائر من الصلاة وتيسير دفع أموال الزكاة ودفعها لمستحقيها تحت إشراف الدولة، وتيسير الذهاب إلى حج بيت الله الحرام وغيرها من الشعائر.

المؤسسات الدينية في بلاد المسلمين لها دور كبير في ترسيخ الهوية الوطنية

وزارة الأوقاف أو هيئة الشؤون الدينية تقوم مسؤوليتها على إقامة الشعائر

ثانياً: العناية بالقرآن الكريم والسُّنة النبوية:

كما أن من أهم مسؤولية المؤسسات الدينية في بلادنا العناية بالقرآن الكريم والسُّنة النبوية من خلال توفير مراكز تعليم القرآن والحلقات القرآنية ومسابقات القرآن الكريم والسُّنة النبوية، والعناية بطباعة المصحف وكتب التفسير وعلوم القرآن وكتب السُّنة وعلوم الحديث، وإنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية التي تعنى بالتفسير وعلوم القرآن وتلاوته وتجويده، وبرامج السُّنة النبوية؛ فيقبل الناس على القرآن الكريم والسُّنة النبوية، فينهلون من تعاليمهما، التي منها حب الأوطان والانتماء إلى هذا الدين والأرض التي تقوم على أسس هذا الدين.

ولهذا نهى القرآن عن البقاء في بلد لا تقام فيها الشعائر ولا تحترم فيها الحريات ولا يعتنى فيها بكتاب الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ (النساء).

ثالثاً: الابتكار في الخدمات الدينية:

فالمؤسسات الدينية تقوم بتقديم خدمات كثيرة للمواطنين، مما يساهم في تعزيز الهوية الوطنية داخل البلد الواحد، ويحقق نوعاً من الرضا عن الأداء الحكومي في تلك البلد؛ ما يحقق الاستقرار فيها بين طوائفها جميعاً، ويوطد العلاقة بين الناس والمسؤولين،

وينبغي أن تقوم المؤسسات الدينية بتطوير وابتكار الخدمات التي تقدمها.

فعلى سبيل المثال، في «خدمة الفتوى» يجب أن تتنوع أشكال وقوالب الفتوى، فلا يكتفى بالذهاب المباشر ولقاء المفتين لاستفتائهم، بل هناك خدمات متطورة، مثل: الفتوى الهاتفية، والفتوى الإلكترونية، كذلك تقديم خدمة طلب منح دراسية في العلوم الإسلامية، وخدمة البحث عن مسجد، وخدمة حجز قاعات بالمساجد للأنشطة الثقافية والدينية، وخدمة الاشتراك في المقرأة الإلكترونية، وخدمة الاشتراك في الحلقات القرآنية، وخدمات المخطوطات والمكتبات، وخدمات التسجيل في الأنشطة الدينية سواء للشباب والفتيات والصغار، والخدمات الدينية الإعلامية، وخدمة تسجيل الحج والعمرة، وخدمات توجيه الناس لدفع أموال الزكاة والصدقات في بيت الزكاة أو المؤسسات المعتمدة من الدولة.

وغيرها من الخدمات التي تتعلق بالشأن الديني ما يجعل الناس يشعرون أن الدولة تهتم بهم وتعتني باحتياجاتهم، بل وتبتكر خدمات ترضيهم؛ مما يولد الاعتزاز بهذا الوطن، ويحافظ على الهوية الوطنية.

رابعاً: المحاضرات والندوات حول الهوية الوطنية:

لا بد أن يُعلم أن بلاد المسلمين مرصودة من قبل أعداء الإسلام، وهم يتلونون بكل لون حتى يفرقوا بين اللحمة الوطنية في المجتمع المسلم، فهم يريدون أن يشعلوا فتيل الاختلاف بين الحكام والمحكومين، وبين الطوائف والمذاهب الفكرية المتنوعة، ولهذا كان واجباً على المؤسسات الدينية أن تقوم بدور الوعي الفكري والسعي نحو عدم الوقوع في فخ التنازع الذي نهانا الله تعالى عنه حين قال: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

من أهم مسؤوليات المؤسسات الدينية في بلادنا العناية بالقرآن الكريم والسُّنة النبوية

واجب على المؤسسات الدينية أن تقوم بدور الوعي الفكري وعدم الوقوع في التنازع

من أهم أدوار المؤسسات الدينية توعية الناس بفقه التعامل مع غير المسلمين

وهذه آية عظيمة في معالجة التفرق والاختلاف والتنازع، وترسيخ مفهوم الوحدة الوطنية، والحفاظ على الهوية الوطنية في بلاد المسلمين، فجعل الله تعالى أصل الاحتكام إليه؛ حكاماً ومحكومين، في قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ثم نهى عن التنازع الذي يؤدي إلى الفشل والانقسام داخل المجتمع الواحد، فقال: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

ولتكن الدعوة إلى الحفاظ على الهوية الوطنية في بلاد المسلمين من خلال خطب الجمعة والدروس المسجدية والدورات والندوات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية بإشراف المؤسسات الدينية في كل بلد مسلم.

خامساً: فقه التعامل مع غير المسلمين:

وإن من أهم أدوار المؤسسات الدينية توعية الناس بفقه التعامل مع غير المسلمين، وأن غير المسلمين في بلادنا هم جزء من نسيجنا ووحدتنا، وأن الاختلاف في الدين لا يعني التناحر ولا التحارب، وإنما يعني الاحتواء والاحترام والتقدير، والتعاون على البر والتقوى بما فيه النفع الذي يعود على أوطاننا وبلادنا، وقد عبر بعض غير المسلمين في بلادنا بقولهم: أنا مسيحي الديانة، مسلم الهوية، أنتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية رغم كوني مسيحياً.

وقد وضع الله تعالى لنا دستور التعامل مع غير المسلمين في آيتين غاية في الروعة والإحكام، لا تحتاجان بعدهما لكثير بيان، هما قوله تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة)، ففرَّق القرآن بين نوعين من غير المسلمين:

الأول: المواطنون من غير المسلمين في بلادنا، فلهم ما لنا وعليهم ما علينا، فنحن وهم في الحقوق والواجبات سواء.

الثاني: غير المسلمين الذين يريدون الشر لأوطاننا، فكان واجباً علينا قتالهم، وأن نحفظ الهوية الوطنية في بلادنا، ولا نسمح أن تمس بسوء؛ حتى نحقق الوحدة الوطنية في بلاد المسلمين.

وليفتخر المسلمون أن أول دستور مدني في التاريخ كان دستور المدينة المنورة، الذي حقق به النبي صلى الله عليه وسلم الوحدة الوطنية بين سكان المدينة جميعهم من المسلمين واليهود والنصارى والوثنين، ومن جميع الإثنيات، من الأوس والخزرج، ومن المهاجرين والأنصار، ومن بقية القبائل العربية الأخرى، فإن كان هناك دين يؤصل للوحدة الوطنية والهوية الإسلامية فالإسلام يأتي أولاً.

وتلك مفاهيم يجب على المؤسسات الدينية في بلادنا أن تسعى لنشرها، وإن كانت وزارات الداخلية تسعى لتحقيق الأمن من خلال محاربة الجريمة، فإن وزارات الأوقاف والمؤسسات الدينية تسعى لتحقيق الأمن من خلال الجانب الفكري، وكلاهما جناحان لا يستغنى عنهما في أي بلد. ■

صناعة الهوية في المناهج التعليمية

من أبرز تجليات عولمة المناهج تراجع التعليم باللغة العربية وانهيار مكانته الاجتماعية

.. و حذف وتسطيح كثير من الأحداث التاريخية المهمة التي تصنع وعي الأجيال الناشئة

د. مـــي سميـــر

تجيب الهوية عن سؤال من هو؟ فهي تقدم إرشادات حول الصفات والقواسم والمبادئ والقيم التي تميز شخوصاً وجماعات عن غيرهم، بما يجعلهم قادرين على النظر إلى الآخرين والوقوف على حقيقة مكانتهم بين نظرائهم، ومن ثم يدفعهم الفهم المتعمق لأنفسهم نحو التعاطي بفاعلية وتعاون وتكامل مع غيرهم لتحقيق الغايات المرجوة.

ويؤدي تعثر الأفراد والجماعات والأمم عن فهم أنفسهم ومكامن تميزهم عن الآخرين إلى التماهي والذوبان في هويات مغايرة، هذا التماهي والذوبان الذي يتكئ على التقليد والنسخ والتماثل والتدجين فيصنع هويات مزيفة تحاول استنساخ صورة الآخرين التي لا تنتمي إلى ذات الناسخ أو المقلد فيخسر الإنسان نفسه ويفشل في التعويض عنها باصطناع ذات جديدة منسوخة.

وتعبر الهوية عن القواسم المشتركة لأفراد المجتمع الواحد والأمة الواحدة، انطلاقاً مما يجمع هؤلاء الأفراد من تجارب متفردة تتبدى في ساحات اللغة والعادات والتاريخ والمصير المشترك والموقع الجغرافي المتقارب، ومن ثم فإن أركان الهوية تنعكس في الممارسات اليومية لأفراد المجتمع وتتجلى في أبسط الأفعال كالتحدث والكتابة والتواصل والشعائر الدينية والعادات الاجتماعية.

الهوية.. ونيران العولمة:

ولما كانت الهوية سمة حضارية خاصة غير قابلة للتكرار أو الاستنساخ، فإن جوهر مبدأ العولمة يتعارض إلى حد بعيد مع الهوية، فبينما العولمة تتكئ على تذويب الفوارق وإزالة الحدود ونشر الثقافة الغربية باعتبارها جملة ما توصل إليه العالم المتحضر من منجزات ثقافية وسياسية واقتصادية، فإن الهوية تلتزم بالحدود الفاصلة التي تميز وتفصل فيما بين البشر وبعضهم بعضاً، لا بغرض الصراع، وإنما بهدف التكامل وتبادل الخبرات وإثراء التنوع الحضاري بين الأمم، واحتراماً لمبدأ الاختلاف الذي هو سُنة إلهية كونية لا يجب ولا يمكن الفكاك منهـا بادعاءات الواحدية الثقافية والحضاريـــــة المفروضة بالقوة من الغرب.

لصناعة هوية سليمة للأجيال الاهتمام بالتنشئة الأسرية وترسيخ الانتماء بالمناهج التعليمية

هذه الواحدية الهوياتية الغربية كانت قد أعلنت نهاية التاريخ بانتصار الحضارة الغربية، وأفصحت عن رغبة صريحة في فرض الثقافة الغربية المنتصرة على كافة بقاع العالم، ناظرة إلى التنوع والخصوصية كتهديد دائم يجب محوه والعمل على اندثاره، وكان مجال التعليم أرضاً خصبة لتلك السياسات المنهجة والمدبرة باعتباره مصنع الهوية ومنبع التنشئة الاجتماعية والثقافية لدى كافة الأمم، فأصبح التعليم معولاً للهدم بعد أن كان من المفترض أن يصبح مشعلاً للتنوير وأداة للبناء والتثقيف والتوعية الحضارية، ومحضناً لتثبيت وترسيخ الهوية لدى الأجيال الناشئة.

تجليات محاربة الهوية في المناهج التعليمية:

ولما كانت اللغة والتاريخ والثقافة والدين مكونات رئيسة في وصفة الهوية لأي مجتمع، فإن العمل الدؤوب على هدم تلك الأركان الهوياتية في المناهج التعليمية مضى قدماً باطراد نحو التزييف والتحريف، فكانت أبرز تجليات عولمة المناهج العربية ما يلي:

- تراجع التعليم باللغة العربية وانهيار مكانته الاجتماعية كتعليم درجة ثالثة لا يحظى بأي إقبال من جانب أولياء الأمور الذين يتهافتون على التعليم باللغات الأجنبية والمناهج الدولية.

- حذف وتعديل وتسطيح كثير من الوقائع والأحداث التاريخية المهمة التي تصنع وعي الأجيال العربية الناشئة، وفي مقدمتها دراسة عصور الخلافة الإسلامية، وحقائق الصراع العربي «الإسرائيلي»، وغيرهما من دروس التاريخ العربي والإسلامي الثري.

- التراجع عن دراسة مادة التربية الدينية كمادة أساسية والاقتصار على قدر ضئيل من الدروس الدينية الخاصة بالعبادات والشعائر وبعض السلوكيات الحميدة، مع تسطيح لفكرة الدين كمرجع ثقافي وحضاري شامل لكل شؤون الحياة وركن أساسي من أركان بناء النهضة.

- إخضاع العملية التعليمية إلى إشراف وتصرف جهات أجنبية ودولية تتدخل في شؤون التعليم وتفاصيل المناهج بما يخدم أجندات خارجية، ولا يحقق النتائج المرجوة من العملية التعليمية باعتبارها قضية أمن قومي تختص بتنشئة الأجيال الجديدة المعول عليها في بناء الأمة.

- استخدام مصطلحات غربية خالصة في دراسة الظواهر التاريخية العربية والإسلامية، كاستخدام مصطلح الاستعمار مكان الاحتلال، ومصطلح دولة «إسرائيل» بدلاً من الكيان المحتل، واستبدال مصطلح الإرهاب بالمقاومة، ومصطلح الشرق الأوسط بالعالم العربي.. وغيرها.

- ترسيخ بعض القيم التعليمية الخاطئة، مثل تفضيل العلوم الطبيعية على حساب العلوم الاجتماعية باعتبارها أكثر رُقياً، بينما العلوم الاجتماعية كالفلسفة والمنطق والتاريخ والأدب هي العلوم المعول عليها في صناعة الهوية وتثبيت إدراك النشء بذواتهم وتنمية عقليتهم الإبداعية الناقدة في مواجهة الغزو الحضاري والثقافي الغربي.

- تقديم مبدأ الحياد العلمي باعتباره قيمة علمية أساسية يتم بموجبها اتهام أي شخص منتم لهويته الخاصة باعتباره «متحيزاً»، بينما الحياد العلمي وبخاصة في العلوم الاجتماعية التي تخضع للخلفيات الثقافية والحضارية لا يجب عليها الالتزام بالحياد الصارم كما في العلوم الطبيعية والرياضية.

منهجية تعليمية متحيزة:

ولصناعة هوية سليمة للأجيال الناشئة، فإن التعويل على التنشئة الاجتماعية الأسرية أولاً، ثم ترسيخ الانتماء في المناهج التعليمية ثانياً، هما العاملان الحاسمان في صيانة عقول النشء من الغزو الفكري والاحتلال الثقافي والتدمير الفكري.

ويجدر لتحقق ذلك الترسيخ الهوياتي في العملية التعليمية توافر الإرادة السياسية لذلك، عبر تعزيز سياسات تعليمية مستقلة عن التوجيهات الدولية والتدخلات الخارجية، والعمل على تطوير شامل للعملية التعليمية برمتها لتقديم منتج علمي يعكس قيم وحاجات المجتمع والأفراد والأمة، ويلبي متطلبات سوق العمل وخطط الدولة الاقتصادية المستقبلية.

فإذا ما توافرت تلك الإرادة يستتبع ذلك الوقوف على مكامن الضعف في العملية التعليمية، ثم الالتفات إلى جوهر المناهج لا بالحذف الجزئي والتعديلات المتناثرة، وإنما بصياغة رؤية شاملة ومنهجية كلية تتجاوز التجزئة والتشرذم الذي يجرد التعليم من مضمونه باعتباره منظومة متكاملة من القيم والمبادئ وليس مجرد معلومات صماء ومواد لا يربط بينها رابط.

ومن ناحية ثانية، يجدر التركيز على المنهجية أكثر من التلقين ونقل المعلومات، عبر تنمية مجموعة من المبادئ الخاصة بالحث على الاطلاع والبحث وبذل الجهد والتفكير والنقد والإبداع، وتهيئة المناخ التعليمي الآمن والجاذب للطلاب والمشجع لتنمية المواهب وإعمال العقل.

وأخيراً، فإن تعليماً يصنع هوية أمة من غير الممكن أن يفعل ذلك بغير لسانها ودينها، فاللسان يعبر عن مكنون النفس البشرية، والدين يربط الحياة الأولى بالآخرة برباط الأخلاق، عبر الحض على الأعمال الصالحة وربطها بالمصير الأخروي كحياة واحدة متصلة يعيشها الإنسان، فيقدم الدين الوازع الأخلاقي بينما تنطلق اللغة لتحقيق التواصل الفعال بين أفراد المجتمع لأداء واجباتهم وتبادل خبراتهم ومنافعهم، وبذلك فإن صناعة الهوية تتطلب العمل على إدخال العلوم والخبرات الأجنبية باللغة العربية من أجل ترسيخ ارتباط الأجيال الجديدة بأمتهم.■

صناعة الهوية تتطلب العمل على إدخال العلوم والخبرات الأجنبية باللغة العربية

دور المؤسسات الدينية في مواجهة الغزو الثقافي بالدراما

المنتجات الدرامية بمختلف وسائلها عززت في السنوات العشر الأخيرة من الفوضى الأخلاقية والسلوكية

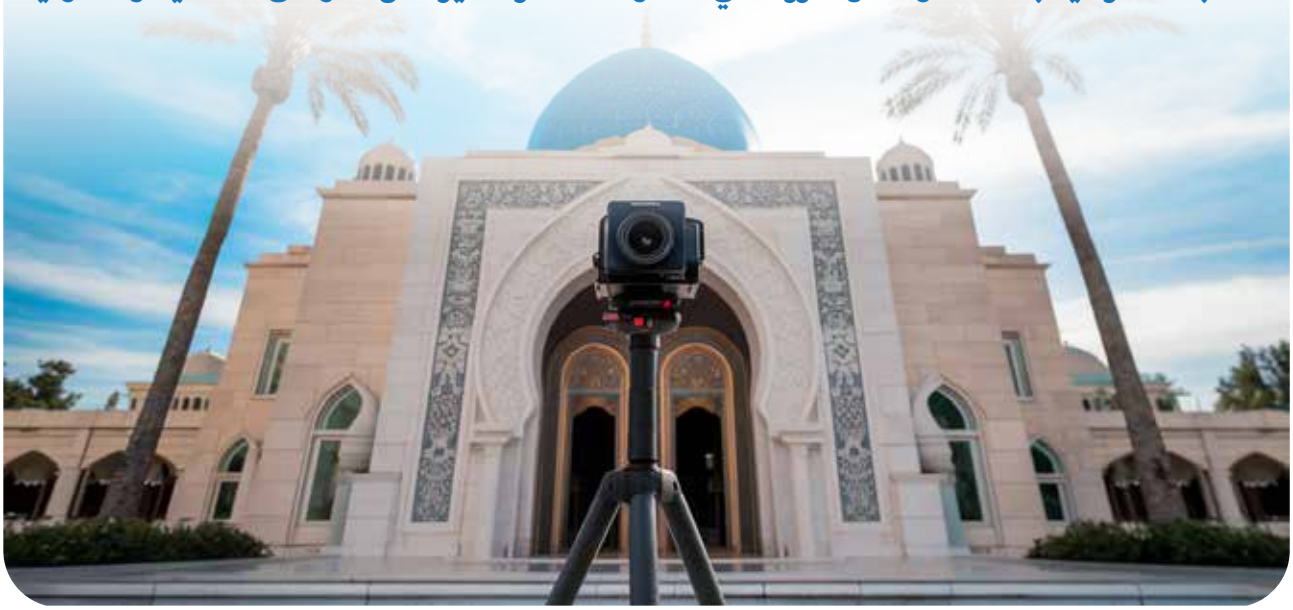

إمام الليثي

أفرزت التطورات التي يشهدها العالم المعاصر في مجال الإعلام والاتصال العديد من الإشكالات الاجتماعية والتحديات والأخطار، أهمها تلك التي تواجه منظومة القيم؛ مما أدى لتلاشي الدعائم الأساسية المرتكزة عليها تلك القيم، ومن ثم تغييرها لعناصر قيمية تم الترويج لها عبر منظومة دولية فرضت بعضها بالقوة العسكرية، والبعض الآخر بالقوى الناعمة من دراما سينمائية وتلفزيونية ومنصات تواصل اجتماعي، فضلاً عن الاتفاقيات الملزمة للدول والقاضية بقبول أنساق قيمية لا تنتمي للثقافة المحلية للدول العربية والإسلامية.

وإذا سلمنا أن النسق القيمي هو الذي يوجه السلوك العام للمجتمعات، ويقرر مدى قبولها أو رفضها لقيمة معينة، فعلينا أن نعلم أن أي تغيير في النسق القيمي يترتب عليه تغيير في سلوكيات الفرد من نمط إلى آخر، فالنسق القيمي يتكون من ثلاثية المعرفة والوجدان والسلوك، وهي المكونات التي تحفز لدى الفرد الاختيار والتقدير ثم التحيز والفعل، فالمكون المعرفي يدفع لاختيار أو رفض القيمة، بينما يؤدي المكون الوجداني إلى التعلق بالقيمة والاعتزاز بها والشعور بالسعادة لفعلها حتى وإن كانت قيمة لها عواقب إجرائية، بينما يأتي المكون السلوكي ليؤكد ممارسة الفعل وتبني القيمة.

للأمة نسق قيمي بناه القرآن وعززته السُّنة:

الأمثلة في بناء الأنساق القيمية للأمة الإسلامية في جميع مناحي حياتها كثيرة، فلتبني قيمة العفة والبعد عن رذيلة الزنى بني لنا القرآن والسُّنة المطهرة نسقاً قيمياً يبدأ من قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (النور: ٣٠)، وتلاها بقوله سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: ٣١)، وسبقهما بالتوجيه لعدم دخول بيوت الناس إلا بعد أن يستأذنوا حتى لا يطلعوا على عوراتهم، ليجيء حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «العين تزني وزناها النظر، والأذن تزني وزناها السمع، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

ومنذ نشأته، استطاع الإسلام وحتى القرن التاسع عشر أن يحتفظ للأمة بخصوصية قيمية جاءت متوافقة مع المنهج الرباني الذي طبقته الأمه عبر تماسكها داخل منظومة الحكم التي تدرجت من النبوة إلى الخلافة الراشدة مروراً بالملك العاض

الذي ظل محافظاً على وحدة متماسكة للأمة ومنظومتها القيمية التي ميزتها عن غيرها.

إلا أنه مع مرحلة الجبريات وظهور الدويلات، وانهيار الخلافة/ الملك العاض، وتزامن ذلك مع ظهور وسائل الإعلام والاتصال التي تدرجت من المطبعة إلى الراديو، فالسينما والتلفزيون، وصولاً إلى مرحلة وسائل التواصل الاجتماعي، استطاعت موجة الغزو الثقافي أن تخترق الشخصية المسلمة وتؤثر في تبنيها لأنساق قيمية بعيدة كل البعد عن بنيتها الثقافية والروحية.

الدراما.. والغزو الثقافي:

عوامل عدة تفاعلت في المجتمعات العربية وأنتجت أزمة حقيقية في الهوية الثقافية للفرد المسلم، الذي أصبح يعيش حالة من الصراع بين الوافد الثقافي الغربي الذي تغلغل في منظومته القيمية بما يحمله من اغتراب عن الفطرة التي خلقه الله تعالى عليها وعززتها وسائل التربية في المحيط الأسري والمدرسي والمسجدي، التي تراجع دورها كثيراً في السنوات الأخيرة؛ مما أنتج خللاً بنيوياً في الأنساق القيمية التي كانت سائدة.

وفي ظل تراجع دور المؤسسات التعليمية والدينية والأسرية، جاءت الدراما كأحد أخطر العوامل الغازية بما تحمله من مضامين ورسائل سلبية، وبجرعاتها المكثفة واليومية بين ما يعرض منها بالوسائل التقليدية (السينما، التلفزيون، المسرح)، وما يعرض على منصات «النيوميديا»، فالدراما تعد مصدراً أساسياً لاكتساب السلوكيات الإيجابية والسلبية على حد سواء.

والراصد للمنتجات الدرامية بمختلف وسائلها سيجد أنها عززت خلال السنوات العشر الأخيرة من الفوضى الأخلاقية والسلوكية، بنشرها مضامين ورسائل تحض

على الهيئات الدينية إنشاء مؤسسات إنتاجية لأعمال درامية تواجه مخططات التغريب والغزو الثقافي

على التطبيع مع التفكك الأسري، والعنف، والانحرافات السلوكية (زنى، مخدرات، مساكنة)، والتشكيك في جدوى مؤسسة الزواج، والتطبيع مع فعل قوم لوط (مصطلح المثلية الجنسية)، وإضعاف وتهميش دور الأب ورجل الدين، والسخرية من الأحكام الشرعية ومظاهر السُّنة النبوية، والتشكيك في بعض الأحاديث كمنطلق لهدم السُّنة المطهرة، والاستهتار بقيم العفة والطهارة والعذرية، والسخرية من كل المؤسسات الدينية، فيما عدا مؤسسة الكنيسة.

ما تحدثنا به عاليه يقدم في الدراما المصنوعة عربياً، فإذا تطرقنا لجرعات التعرض للدراما المدبلجة عن الهنود، والكوريين، أو الدراما المترجمة عن الأمريكيين؛ فإننا إذاً أمام حالة من التشكيك في العقيدة الإسلامية، وتشويه صورة الإله الخالق سبحانه التي نشأ عليها المسلم من خلال تربيته العقائدية، ليصل الأمر إلى تمجيد الشيطان والإلحاد والبوذية وكل أصنام الهنود ومعابدهم وانحلالات الأسرة بما تحمله من قيم تتوافق مع عقائدهم، والترويج للرجل الأبيض كبطل خارق مهيمن يستطيع أن يهزم الكون بما لديه من علوم وأسلحة، وتصويره كحارس لقيم البشرية وراعٍ لحرية الفرد وإن تعدت على حقوق الآخرين، فهو الراعي لحرية الانحلال والسعار الجنسي.

ثقافتنا معيارية:

إن النظام الذي يحكم الثقافة الإسلامية نظام معياري يمكن قياسه على الأفراد والمجتمعات، فهو قائم على بنية تفكير اشتراطية تجعل احتياز السعادة الأخروية الدائمة، والدنيوية الزائلة، مرتهناً باتباع القوانين التي سنَّها الله عز وجل في كتابه وبيَّنها النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث المطهرة، فمدى تمسك المجتمعات وقربها من تلك البنية المعيارية هو مقياس التماسك في مواجهة الغزو الثقافي أو الهزيمة أمام الهجمة التي تجتاح تلك المجتمعات.

الأمر الذي يحتم على المؤسسات الدينية التحرك لاحتواء الخلل الذي بدأ يظهر في شباب الأمة، خصوصاً أنهم الأكثر عرضة للمتغير النسقي في منظومة القيم، فقد أثبتت الدراسات أن الشباب هم الأكثر تعرضاً للدراما والأكثر تأثراً واغتراباً وتقليداً لما يعرض عليه ويشاهده عبر المنصات المختلفة، دون أن تكون هناك منتجات تواجه ما يبث له ويسحبه من قناعاته وانتماءاته.

ولا نقصد هنا أن تزيد المؤسسات الدينية من جرعات الوعظ وتصدير الدعاة والعلماء في القنوات والمساجد والمحافل العامة، فكل هذه المنصات التقليدية غير جاذبة للشباب، ولكن على المؤسسات الدينية أن تسعى لوضع خطة تعمل على إنشاء المؤسسات الإنتاجية التي تنتج أعمالاً درامية تواجه مخططات التغريب والغزو الثقافي.

ولا بد أن يسبق هذا العمل قيام تلك المؤسسات بعمل دراسات بحثية لمسح القيم السلبية التي زرعت في المجتمعات المسلمة، وتفنيد المضامين والرسائل التي تم تصديرها لمجتمعاتنا وقياسها على النسق القيمي الإسلامي، والخروج بالرسائل العكسية التي يجب إعادتها، ومن ثم اللجوء للمبدعين ليتم تحويل هذه الدراسات إلى منتجات درامية، ثم طرح اكتتاب عام للأمة لتمويل الإنتاج الدرامي واعتبار أن هذه المساهمة جزء من سهم الجهاد ■

مطالب بالتفعيل والتجديد.. دور المؤسسات الدينية في دعم النوادي التربوية للشباب

حسن القباني

«للمؤسسات الدينية دور بارز ومركزي في دعم النوادي التربوية للشباب سواء الرسمية أم غيرها»، هذا ما أكده مختصون تحدثوا لـ«المجتمع»، مشددين على أهمية هذا الدور وطريقة تفعيله في الوقت الراهن وضوابطه؛ حفاظاً على هوية الأجيال الصاعدة الثقافية والدينية، وتحصيناً لهم في مواجهة أخطار الواقع.

في البداية، يؤكد **د. هاني الأزهري**، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق في جامعة عين شمس بالقاهرة، في حديثه لـ«المجتمع»، أن المؤسسات الدينية (مؤسسات العلم الشرعي) عليها دور كبير في ظل الضغوط الكبيرة على الشباب، والفتن والمفاسد والمغريات التي تلاحقهم من كل حدب وصوب، وبالتالي فمن المفيد جدًّا أن تهتم هذه المؤسسات الدينية بمواقع تمركز الشباب، وفي القلب منها النوادي ومراكز الشباب.

ويشير الأزهري إلى فكرة «القوافل الدعوية» التي تطبق منذ عدة سنوات عبر وزارة الأوقاف المصرية، التي تتجاوز إطار المسجد، وتذهب للجميع في مكانه، ومن بينهم الشباب في نواديهم ومراكز الشباب، مؤكدًا أهمية أن يتم رعايتها بشكل رسمي أكبر وتوسيع نطاقها كمًّا وكيفًا.

ويعتقد أستاذ الشريعة الإسلامية أن المكتبات في نوادي الشباب ومراكزهم يمكن أن تكون ملتقى يلتقي فيها العلماء والدعاة مع هؤلاء الشباب، في ندوات تثقيفية، موضحاً أنه في وقت مبكر من عمره، زار كثيرًا من مراكز الشباب بمصر، ووجد إشكالية في الاهتمام بالمكتبات، والاقتصار على وضع بعض الكتب فيها، لكنه يرى حاليًا ضرورة تجديد التصورات حولها، وإحياء المكتبات في مراكز الشباب ونواديهم؛ لتكون ملتقى مجهزًا يجمع العلماء والشباب على طاولة الوعي الديني.

ويلفت الأزهري الانتباه إلى أن عقد الندوات التثقيفية بات حاليًا ضرورة بالغة لملاحقة المتغيرات والهجمات على هوية الشباب والمجتمع، موضحًا أن الخروج من المساجد إلى الساحات والمراكز والنوادي بات مهمًّا لوصول الدعوة الإسلامية إلى المحتاجين إليها، الذين لا يدخلون المساجد إلا لصلاة الجمعة.

ويؤكد أستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة عين شمس أن المسؤولية يجب ألا تلقى على عاتق المؤسسات الدينية وحدها، متسائلاً: ماذا يفيد نشاط مؤسسات العلم الشرعي مع الشباب في نواديهم ومراكزهم وأماكن تواجدهم، دون تضافر جميع الجهود من كل المؤسسات المعنية مع العلماء، لإنجاح دورهم

وإيصال صحيح الدين إلى الشباب والنشء؟

وسائل عصرية

بدوره، يرى الكاتب الصحفي **إسماعيل الفخراني**، نائب رئيس تحرير صحيفة «الأهرام» القاهرية السابق، في حديثه لـ«المجتمع»، أن الواقع الذي تعيشه المؤسسات الدينية ينبغي أن يتحلى بإيجابية مطلقة في حماية الشباب الذي يعيش واقعاً مؤلماً وسط أمواج من الغزو الثقافي والفكري، والإلحاد، والصراع الغربي على عقولهم.

ويضيف الفخراني أن هذا الواقع الصعب يتطلب تحرك المؤسسات الدينية إلى مواقع الشباب، في النوادي والمراكز وغيرها، وعدم الوقوف مكتوفي الأيدي في سلبية كبيرة، من أجل التوعية والتربية والإصلاح، وتأهيل الشباب لمواجهة الصعوبات الحالية.

ويقترح الفخراني تدشين المؤسسات الدينية حملات شاملة لتوعية الشباب في نواديهم، وتعريفهم بأضرار الواقع؛ لتأخذ بأيديهم بعيداً عن موجات الإفساد، وتنوير عقولهم بأسس الدين، وقيمة الاعتزاز به، والمحافظة على الهوية، وأخطار المفسدين فكرياً وثقافياً؛ لأن المؤسسات الدينية هي الحاضنة الطبيعية والقلعة الحصينة التي يجب أن يتحصن فيها الشباب من الأخطار والمفاسد التي يعج بها الواقع.

ويشدد على أهمية مراعاة المؤسسات الدينية في تعاملها مع الشباب الأسلوب اللطيف المناسب في الحوار والنقاش، واختيار وسائل عصرية في التوعية، تستوعب المتغيرات التكنولوجية، وأجواء الشباب، مقترحاً كذلك تنظيم الرحلات والمعسكرات الشبابية.

من جانبه، يؤكد الكاتب الصحفي **طارق محمود السباعي**، المتخصص في شؤون الشباب والرياضة، في حديثه لـ«المجتمع»، أن نوادي الشباب ومراكزهم أماكن إستراتيجية لأي مؤسسة تريد إيصال رسائل توعوية أو إعلانية أو إعلامية؛ وهو ما يزيد من عبء المسؤولية على المؤسسات الدينية، في أن تصل إلى الشباب في هذه الأماكن بطريقة متطورة وعصرية ولغة مناسبة وأنشطة تناسب المكان، ويستطيع الشباب هضمها في ظل عوامل الجذب المنتشرة من منافذ عدة.

د. الأزهري: ضغوط كبيرة على الشباب تستلزم تحرك الدعاة لمساندتهم

الفخراني: النشء يواجه حملات من الغزو الثقافي والفكري ويجب حمايته

السباعي: تدشين حملات وبروتوكولات تعاون لدعم الأجيال الصاعدة

ويضيف أن مراكز الشباب، بحسب اللوائح، هي هيئة شبابية تربوية أهلية، تساهم في تنمية النشء والشباب باستثمار وقت فراغهم في ممارسة مختلف الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية والوطنية، وتسعى لإكسابهم المهارات اللازمة، وبالتالي يجب على مجالس إدارات هذه المراكز والأندية أن تبادر لعقد بروتوكولات تعاون مع كافة المؤسسات الدينية، من أجل تنفيذ لوائحها، كما يجب على المؤسسات الدينية السعي إلى تدشين حملات واسعة بالشراكة مع هذه المؤسسات الشبابية والرياضية؛ لإيصال رسالتها الدينية إلى الشباب والنشء.

ويشير السباعي إلى أن حضور ممثلي المؤسسات الدينية في نوادي الشباب ومراكزهم يجب أن يُبنى على أسس ودراسات، وليس بطرق عشوائية؛ حتى يؤتي ثماره في تثقيف النشء وتوعيتهم، موضحاً أن الأمر يبدأ بزي الداعية -سواء الرجل أم المرأة- الذي يجب أن يتناسب مع أجواء النوادي والمراكز بما لا يخل بقيمة الداعية ولا ضوابط الدين، مع اختيار الشباب لمثل هذه المهام الدعوية؛ لسهولة التواصل مع الجيل الجديد من الشباب والنشء الذين يطلق عليهم حالياً «جيل زد».

دراسة ميدانية

وفي دراسة ميدانية حديثة بعنوان «المؤسسات الدينية ودورها نحو قضايا الشباب ومشكلاته»، ذهبت الباحثة نسرين صادق إلى أن المؤسسات الدينية تؤدي دوراً اجتماعياً مهماً في المجتمع عامة والشباب خاصة، ورغم ذلك فإن الدور الوظيفي لهذه المؤسسات نحو الشباب في وقتنا المعاصر ما زال يحتاج إلى مزيد من الاهتمام والعمل على ربط الشباب بالمؤسسات الدينية.

وقد استعانت الدراسة بأداة الاستبيان لتطبيقها على عينة قوامها ١٤٨ من طلاب وطالبات كلية الآداب جامعة المنصورة، شمالي العاصمة المصرية القاهرة، وأشارت نتائجها إلى أن الواقع الاجتماعي الذي يعيش في نطاقه الشباب يحيط به العديد من الظروف الصعبة والمشكلات الاقتصادية والمتغيرات الاجتماعية والثقافية التي لا بد أن تترك بصماتها، وتؤثر تأثيراً واضحاً في حاضره ومستقبله.

وأوصت الدراسة بتحسين دور المؤسسات الدينية نحو الشباب وتفعيله، وذلك من خلال إبداء النصح والإرشاد للشباب، وتنمية الوعي لديهم من خلال عقد الندوات واللقاءات، وتصحيح المفاهيم الخاطئة لديهم، وحمايتهم من الانحراف والتطرف.■

المؤسسة الدينية.. بين الإحياء والاحتواء

بعض الأنظمة العربية والإسلامية لم تُخْفِ تأميم الدين واحتكاره بتوظيف المؤسسات الدينية الرسمية

.. وتفنَّنت في توظيف المؤسسة الدينية التقليدية في مواجهة المشروع السياسي الحضاري للإسلام

ناصر حمدادوش
برلماني جزائري سابق

لا يخلو مجتمعٌ عبر تاريخ البشرية من الظاهرة الدينية، والحاجة الفطرية إلى الدين، والتمظهر العلني الفردي والجماعي له بالتديُّن، وهو ما يعبَّر عنه بالوجود الاجتماعي للدين، فقد عاشت المجتمعات القديمة منذ العصر الحجري وفق معتقدات دينية، ومارست شعائر تعبدية، وخلَّدت تراثاً دينياً ضخماً، وصل إلى مستوى الأساطير الدينية التي حكمت سلوك الأفراد والمجتمعات والحضارات، فالإنسان ذو فطرة دينية، كما ورد في الحديث النبوي الشريف: «كلُّ مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجِّسانه..»، وكما هي الحاجة الفطرية للدين على مستوى الأفراد، هناك حاجة جماعية إليه كمؤسسات.

ورغم أن المؤسسة الدينية متأخرة جداً من حيث الظهور عن الدين ومظاهر التدين، أي أن مأسسة الدين ليست قديمة قِدَم الدين نفسه؛ فإنها ظهرت بشكل جلي في أماكن العبادة البسيطة، ثم تطورت وأخذت أشكالاً أكثر تحضُّراً، مثل المساجد والكنائس والدُّور والجماعات الدينية؛ وهو ما يعني أن ظهور المؤسسات الدينية وتطوُّرها مرتبط بتطور الحياة المدنية للإنسان؛ أي بتطور التاريخ في حدِّ ذاته، وهو ما جعلها تتزايد كماً ونوعاً، وخاصة في المجتمعات المحافظة، فأخذت المؤسسة الدينية تاريخاً من الظهور الرسمي لها، وبرزت كمؤسسة من المؤسسات التي لها دور وتأثير ونفوذ، تصل إلى درجة المرجعية العليا والسلطة الدينية الأسمى في المجتمع.

ومع أن المفاهيم تعاني دائماً من إشكاليات معرفية، ومنها: الاختلاف وعدم الاتفاق على تعاريفها الجامعة والمانعة، فإن مصطلح «المؤسسة الدينية» في عالمنا العربي والإسلامي يمكن إجماله بما يستوعب بنْيتها وأهميتها ووظيفتها، التي تعني: الهيئة الدينية المنظمة والرسمية، ذات المهام والوظائف المحددة والدائمة، كوزارة الشؤون الدينية والأوقاف والزكاة والحج، والجامعات والزوايا والمدارس القرآنية، وهيئات الإفتاء والتوجيه الديني، التي تقوم بأدوار ثقافية واجتماعية وروحية، وإنْ كانت تتداخل في المهام والوظائف مع بعض المؤسسات غير الدينية، وبالتالي فهي تحتل مكانة مركزية ومحورية في حياة الشعوب والدول، نظراً لتأثيراتها الناعمة في الحياة العامة.

ونحن نتحدث هنا عن المؤسسة الدينية، التي تُطلق غالباً على المؤسسات الرسمية، لا على المؤسسات الدينية غير الحكومية، كالجمعيات الخيرية والمنظمات التطوعية والأحزاب الدينية؛ وهو ما يطرح إشكالية الأدوار الحقيقية لها بين عملية الإحياء الحضاري للأمة وعمليات الاحتواء العلماني لها من الدولة.

فبالرغم من موجة العلمانية الطاغية التي اجتاحت العالم، وخاصة بعد الثورة العقلانية ضد الكنيسة في الغرب، وبالرغم من طوفان بعض الأيديولوجيات والفلسفات الوضعية المعاصرة، فإنه تجدَّد الطلب على «الدِّين» في الحياة السياسية وفي الحياة العامة، وعاد

الدور المتجدد له في الصناعة السياسية والتأثير المجتمعي، لم تصمد الحداثة المعاصرة أمامه طويلاً.

وبالرغم من المحاولات المستميتة في جعل الدولة الحديثة دولة مواطنة، لفرض منطق تحييدها عقائدياً، وإخراجها من الصراعات الدينية، والارتقاء بها إلى مستوى الدولة المؤسسية المدنية غير الأيديولوجية، ومع ذلك فقد ظهر التوظيف السياسي الرسمي للدين، وتم توظيف العلمانية كوسيلة للدولة من أجل التحكم في الدين؛ مما جعل بعض الأنظمة تستعمل «الدِّرع الديني» كأحد أركان الاستبداد عبر المؤسسة الدينية والفكر الدّيني الموجه لشرعنة السلطة دينياً وأخلاقياً، فلم تُخْفِ بعض الأنظمة في البلاد العربية والإسلامية تأميم الدين واحتكاره، بتوظيف المؤسسات الدينية الرسمية، مثل: السيطرة على المساجد والزوايا من أجل توجيهها والتحكُّم في التأثير الديني لها.

فقد شهدت العقود الماضية ظهور السياسات ذات الصبغة الدينية في بعض الدول العلمانية -ظاهرياً- وهو ما يُسمى بالاستغلال الذرائعي للدين، في العلاقة غير الشرعية للسلطة بالدين، استغلالاً له دون تبنِّيه منهجاً وسلوكاً، شريعة وقانوناً حقيقة، فيتم استدعاء الدين في كل مرة لإضفاء الشرعية على الحاكم وضمان الولاء الديني له، وتوظيف المشاعر الدينية والقومية من أجل ترسيخ الرضا الأعمى لسلطة الدولة على الأفراد والمجتمعات.

فقد تفنَّنت الأنظمة الاستبدادية في توظيف المؤسسة الدينية التقليدية في مواجهة المشروع السياسي الحضاري الإحيائي للإسلام، عبر دعاوى «تجديد الخطاب الديني»، وإعادة النظر في النَّص الديني، ومراجعة الموروث التراثي الفقهي، بل وفي تأميم واحتكار المؤسسة الدينية الرسمية، وتمييع المنظومة التربوية والتعليمية والإعلامية، وتفريغها من أي بُعد ثوابتي وهوياتي، تحت غطاء مكافحة «الإرهاب» وتجفيف منابع التطرُّف، وقد

المؤسسة الدينية بحاجة إلى نقد ذاتي ومراجعة حقيقية من أجل إعادة هيكلتها والارتقاء بأدوارها

صدق نصير الحرية وعدو الاستبداد الإمام عبدالرحمن الكواكبي في فضح مثل هذه الأدوار التبريرية للحاكم باسم الدين: «أن الاستبداد في السياسة متولِّدٌ من الاستبداد في الدين أو مساير له».

إلا أن المتأمل في صفحات التاريخ الإسلامي، وبالرغم من تلك الظاهرة المشؤومة لفقهاء السلطان وعبدة الحاكم المتغلِّب، ومع ذلك فإنها لا تخفي حقيقة ناطقة، وهي أن الذي صنع الحضارة وحافظ على حيوية الأمة لم تكن السلطة السياسية، فقد سجَّل التاريخ صفحات سوداء عن بعض أمرائها الذين كانوا أقرب إلى الفساد والانحلال والدكتاتورية والمُلك العضوض، وهي من المراحل الصارخة بالأزمة الدستورية للحضارة الإسلامية بعد الخلافة الراشدة.

وبالرغم من تلك المظاهر المؤسفة لفساد الملوك والأمراء، فإن تفاعلاً مجتمعياً في عمق الأمة كان يحافظ على الأمل لترجيح كفَّة الفعل الحضاري على حساب الفساد السياسي، فكان المجتمع هو مَن يقف على ثغرة الهويَّة والقيم، وكان تأثير ما يُسمى اليوم بالمؤسسات الدينية والمجتمعية أقوى من تأثير الدولة في تنظيم الشعوب وتوجيه الأمة، إذ إن صناعة الحضارة لم تُكتب صفحاتها على يد الحكام، بل بدأت فاعليتها في العمق من تحرير الإنسان في ضميره وإرادته وفكره وسلوكه عبر الاجتهاد والإبداع والتجديد على مستوى المجتمع، وليس على مستوى السلطة.

وحتى في لحظات الانفصال بين السياسة والحضارة، فقد فرض واجب الوقت أن تتحمل تلك المؤسسات الدينية عبء الفاعلية الحضارية، وكان وَقُودَها العلماء والمفكرون والقضاة والمحتسِبون والمبدعون والأدباء والمثقفون.. وغيرهم من صناع الرأي وأرباب التأثير في الواقع، الذين لا ينتظرون ترخيصاً من الحاكم.

وقد تجلَّت مظاهر ذلك في انتشار المدارس القرآنية والتعليم الشرعي وسلطة الإفتاء ورسالية المساجد ومجالات الأوقاف ودور الزكاة ومظاهر التكافل الاجتماعي وتنوع أوجه التطوع، التي مثَّلت صوراً مشرقة من روائع الحضارة الإسلامية، وجسَّدت كيانات تعاونية مؤسسية مستقلة وفاعلة، إذ تحالف الحفظ الإلهي النظري للهوية والقيم في المجتمع بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، مع الحفظ العملي لها عبر واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل استقلالية بواسطة العمل المؤسسي والفعل الحضاري المنظَّم، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

وبين ذلك الدور الإحيائي التاريخي للمؤسسة الدينية، وواقع احتوائها في العصر الحديث فإنها بحاجة إلى نقد ذاتي، ومراجعة حقيقية، من أجل إعادة هيكلتها والارتقاء بأدوارها من أجل الإحياء وحمل أمانة الدين بحق، بعيداً عن التوظيف السلطوي وسياسات الاحتواء البيروقراطي لها، وأن التعامل مع المستوى الرسمي والشعبي لها بكل استقلالية وسيادية هو ما يحافظ على الدور الحضاري لها لصالح الأمة، بما يجعل الدِّين في صالح الإنسان والإنسانية المعذبة، فلا تجعل الدين منعزلا في صور شعائر تعبدية، بعيداً عن التفاعل مع القضايا الكبرى التي تشغل الحياة المعاصرة، وأن صناعة الإنسان الرسالي هي الوظيفة الحضارية والمهمة المقدسة لهذه المؤسسة الدينية، وعليها أن تؤديها خالصة لله تعالى، إذ إن التناغم مع النهضة الإنسانية والوظيفة الحضارية للدين مرهون بالمسؤولية التاريخية والأخلاقية لها.■

حذف فلسطين من مناهج التعليم تجريف للهوية

إحسان الفقيه

على مدى ١٤ قرناً، لم تفلح الجيوش في النيل من الأمة، فكلما تعرضت أمتنا لغزو عسكري انتفضت واتقدت جمرتها، حتى وإن سيطر عليها الغزاة دهراً، ظلت هذه الجمرة مستعرة حتى التحرير.

لقد أدرك أعداء الأمة هذه الحقيقة، واستوعبوا الدرس، فوجهوا جهودهم لحرب خفية من نوع آخر، هي الحرب على الهوية، بنزعها وطمس معالمها، عن طريق الغزو الثقافي والفكري والعبث في مناهج التعليم، لتكون أمة مجردة من درعها الحامي يسهل بعدها غزوها والسيطرة العسكرية عليها.

الهوية هي تعريف المرء لنفسه من خلال الإجابة عن سؤال: من أنا؟ ولكنها بعيدة عن مضمون الهوية الشخصية التي تطبعها الدول لمواطنيها، إنها التعريف بالجوهر والحقيقة، وهوية كل أمة هي صفاتها التي تميزها عن غيرها من الأمم وتعبر عن شخصيتها الحضارية.

الهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى[١].

ولما كانت المؤسسة التعليمية من مدارس وجامعات ومعاهد علمية حاضنة تربوية يتعرض لها معظم الناس في فترة أو فترات من أعمارهم، كانت هي الأساس الأول في صياغة شخصية المرء وغرس الهوية التي تنطلق من الثقافة الأم للمجتمع.

فالمناهج العلمية هي الأداة التي تمكن المجتمعات من بناء شخصيات أفرادها وفق ثقافة ومعتقدات وفلسفة المجتمع، وهي مجموعة المواد التعليمية التي يتم تعليمها للطلبة[٢].

وبناء على ذلك، كانت المناهج التعليمية وما تزال، هي المستهدف الأبرز من عملية تجريف الهوية، ومن خلالها يتم توجيه الأمة من حيث لا تدري.

فلسطين.. ومناهج التعليم:

القضية الفلسطينية أم القضايا، وعليها رسمت خارطة الصراع، لأنها ترتبط بأرض إسلامية عربية تم اغتصابها، وبالمسجد الأقصى الأسير أولى القبلتين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودفعت الأمة عبر العصور ثمناً باهظاً للحفاظ عليه واسترداده من يد أعدائها.

لقد أخفق الصهاينة ومؤيدوهم وأذنابهم في تسطيح القضية الفلسطينية والحق الفلسطيني في الوجدان الإسلامي والعربي، لذا نالت هذه القضية قسطاً وافراً من محاولات تهميشها عبر المناهج التعليمية، التي دأبت على غرس حب فلسطين وإبراز كفاحها لنيل حريتها وإظهار المؤامرات الصهيونية لابتلاعها، فضغط الصهاينة بكل الوسائل لحذف ما يتعلق بفلسطين في مناهج التعليم، سواء في فلسطين نفسها أو في الدول العربية.

في أغسطس ١٩٨١م، قام رئيس الوزراء «الإسرائيلي» الأسبق مناحم بيغن في زيارة لمصر، وأعرب عن استيائه البالغ من استمرار دراسة كتب التاريخ التي تتحدث عن اغتصاب «الإسرائيليين» لفلسطين، وكذلك كتب التربية الإسلامية التي تحتوي على آيات قرآنية تندد باليهود[٣].

في الداخل الفلسطيني:

منذ نكسة ١٩٦٧م واحتلال القدس

حذف فلسطين وما يتعلق بقضيتها أو تهميشها بالمناهج من شأنه أن يطمس هوية الأجيال الناشئة

وإحكام السيطرة «الإسرائيلية» على الأراضي الفلسطينية، عملت حكومة الاحتلال على «أسرلة» مناهج التعليم الفلسطينية، فشطبت فلسطين من الكتب التعليمية، وسوقت للرواية الصهيونية عن أرض «إسرائيل» والتاريخ اليهودي، وتسويق فكرة أن العرب أقلية تحضنها «إسرائيل» الديمقراطية! وعملت على محو الهوية الفلسطينية من عقول الطلاب بتعزيز انتمائهم للدولة «الإسرائيلية».

بعد احتجاج مديري مدارس القدس على تلك المناهج، رضخ الاحتلال بالسماح للمدارس الفلسطينية بتدريس المناهج الأردنية، إلى أن خرجت المناهج الفلسطينية للنور في عام ٢٠٠٠م، وقامت المدارس في شرقي القدس والمدارس التابعة لبلدية الاحتلال بتدريسه، إلا أنه في عام ٢٠١١م قام الاحتلال بتحريف المناهج الفلسطينية، والضغط على المدارس لتعليمه على هذا النحو من التحريف، مع محاولة فرض المنهج «الإسرائيلي» في المدارس بالقدس.

تعاظمت محاولات «أسرلة» التعليم في القدس بعد القرار الأمريكي بالاعتراف بالقدس عاصمة لـ«إسرائيل» ونقل السفارة الأمريكية إليها عام ٢٠١٨م، فرصد الاحتلال ميزانية كبيرة لإغراء المدارس بتدريس المنهج «الإسرائيلي»، الذي من خلاله يتعلم الطالب قيام دولة «إسرائيل» على الرواية الصهيونية، وعن أهمية الكنيست، وحفظ النشيد «الإسرائيلي»، وحذف قصيدة الانتفاضة والنشيد الوطني الفلسطيني، وحذف دروس تاريخية كمعركة «حطين»، وتعزيز القيم الثقافية اليهودية، ودراسة التاريخ المزيف الذي يلغي الحق الفلسطيني في فلسطين، ويلغي وجود الفلسطينيين ويضعهم تحت مسمى غير اليهود أو الأقليات أو جماعات إلى جانب اليهود.

في المحيط العربي:

عملت حكومة الاحتلال بالتعاون والارتكاز على الولايات المتحدة حليفها الأكبر وراعيها الرسمي على الضغط على الحكومات العربية لتغيير مناهج التعليم بما يصب في صالح تغييب القضية الفلسطينية من الكتب المدرسية، لصناعة أجيال جاهلة بالقضية وفاقدة للانتماء لها.

وعلى الرغم من أن مؤامرة نزع فلسطين من المناهج في الدول العربية شقت طريقها ووجدت استجابة من بعض الدول العربية منذ معاهدة «كامب ديفيد»، ثم اتفاقية «وادي عربة»، فإن أحداث الحادي عشر من سبتمبر جاءت كفرصة أقوى لتعزز هذا الاتجاه لدى أمريكا والكيان «الإسرائيلي»، مستخدمة فزاعة الإرهاب التي صارت تهمة تشهر في وجه الدول لدفعها للتماهي مع التوجهات الأمريكية و«الإسرائيلية»، وفي خضم مسار التطبيع استجابت العديد من الدول العربية لتغيير المناهج التعليمية بما يتناسب مع الرغبة الصهيونية.

ألغيت كتب ودروس تتحدث عن اليهود وعدائهم وغدرهم وخيانتهم للعهود، وحذف كل ما له علاقة بالعداء مع اليهود بما في ذلك الآيات التي تتحدث عنهم والغزوات والصراعات ضدهم، وحذف دروس تتضمن المعارضة للاستيطان «الإسرائيلي»، وأخرى تتعلق باحتلال اليهود للأرض المقدسة، كما أضيفت دروس حول المكاسب الاقتصادية والثقافية والسياسية للسلام مع دول الاحتلال، واستحدثت كتب دراسية تم إعدادها وفقاً لمتطلبات التطبيع، بل وصل الأمر إلى حذف فلسطين من المناهج التعليمية في بعض الدول وترك مساحتها خالية.

هويتنا في خطر:

إن حذف فلسطين وما يتعلق بالقضية الفلسطينية أو تسطيحها وتهميشها في المناهج التعليمية، من شأنه أن يطمس هوية الأجيال الناشئة التي ستكون معرضة للغرق في الجهل بالقضية الفلسطينية والصراع مع الكيان المحتل.

ستعزز هذه التوجهات من طمس معالم عقيدة الولاء والبراء في نفوس الناشئة، التي ستنظر إلى القضية الفلسطينية على أنها أرض لشعبين يجب أن يتعايشا في سلام، ويختلط لديها العدو والصديق.

نحن مطالبون للحفاظ على هويتنا بالعمل على إبقاء القضية الفلسطينية كقضية مركزية للأمة

سوف تطمس هذه التوجهات حب المقدسات في نفوس الأجيال القادمة، وتُغيّب عن تاريخها الذي هو أحد مكونات الهوية، وذلك عندما تفقد التفاعل مع تاريخ الدفاع والبذل من أجل القدس و«الأقصى».

ستفقد هذه الأجيال هويتها، عندما ترضى وفق هذا المخطط بوجود النفوذ الإمبريالي عن طيب خاطر، وهنا مكمن الخطر، فالدول الواقعة تحت الاحتلال مهما طال أمد احتلالها، فإنها تحتفظ بهويتها طالما هي مدركة بأنها صاحبة الحق في الأرض، وأن عدوها الدخيل لا بد من طرده، أمّا وهذه المناهج تربي على التماهي والتطبيع، فإن الأمة ستفقد بوصلتها ونزعتها التحررية.

ومن شأن هذه التوجهات الضالة أن تصطبغ الأجيال التي تعرضت لهذه المناهج بكل مفردات التطبيع، ما يؤثر على عقيدتها وثقافتها وقيمها.

إننا مطالبون للحفاظ على هويتنا، بالعمل على إبقاء القضية الفلسطينية كقضية مركزية للأمة، وطالما أننا لا نستطيع الضغط باتجاه تقويم مناهج التعليم، فلا يبقى إلا أن نسير في اتجاه مضاد لها، عبر التعريف والتثقيف من خلال كل المنابر والمسارات المتاحة بأهمية القضية الفلسطينية والصراع مع الصهاينة.■

الهوامش

(١) العولمة وعالم بلا هوية، سمير محمود المنير، ص١٤٦.

(٢) دراسة بعنوان «المناهج الفلسطينية المعدلة في مادة التاريخ وأثرها على الهوية الوطنية في مدارس القدس الشرقية»، ميرفت أبو عصب، المجلة العلمية لكلية التربية جامعة أسيوط، المجلد ٣٨، العدد الثامن، أغسطس ٢٠٢٢م.

(٣) مستفاد من: التطبيع، عادل الراجحي، ص٩.

تحديات الهوية الإسلامية في الغرب.. كيف نبنيها ونحميها؟

البيئة الغربية مصدر الإلحاد ومنبت التشكيك في المُسلَّمات اليقينية ومنطلق العصيان على الأديان

هناك ملايين الدولارات التي تُنفق على مراكز الأبحاث بالغرب والشرق للصد عن سبيل الله تعالى

د. طه سليمان عامر

لَّما خلق الله تعالى الخلق، جعل لكل إنسان صفات وخصائص جسمية وعقلية ونفسية تختلف عن غيره، وتلك آية في الخلق كما قال جل في علاه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢).

والتنوع في الخلق من سنن الله تعالى، وأثر من عظمته في الخلق والإبداع، فلا غرو أن هوية كل شخص تختلف عن غيره من الناس؛ الأمر الذي يجعله غير متماثل مع غيره، يقول أمين معلوم في كتابه «الهويات القاتلة»: «هويتي هي ما يجعلني غير متماثل مع أي شخص».

تتشكل الهوية من جملة من العناصر المتفاوتة في القوة والأهمية، بدءاً من الاسم والنوع والعبادات والعقيدة والمذهب والعائلة أو القبيلة والمدينة والدولة، كل هذه العناصر وغيرها تشكل الهوية الشخصية.

التحديات التي تواجه هوية المسلم في الغرب:

هناك العديد من التحديات التي تواجه شخصية المسلم المعاصر بوجه عام، وشخصية المسلم الذي يعيش في الغرب بوجه خاص، سواء كان من الوافدين أو من الذين وُلدوا هنا من الأجيال الجديدة، من أهمها ما يلي:

- وضوح الغاية من الوجود:

أسئلة وجودية شائكة تتعرض لها الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين ولا يجد الكثير منهم لها جواباً وافياً كافياً في ظل حضارة مادية شديدة الطغيان والوطأة على القلب والروح.

تلك الأسئلة التي تتعلق بالغاية من الحياة وسر الوجود، وماذا بعد رحيلنا من الدنيا؟ وما علاقتنا بالكون من حولنا؟ ومن أكون؟ ربما تلك الأسئلة في البلاد العربية والإسلامية لا تُطرح بهذا الوضوح، فضلاً عن كونها مصدر إلحاح على عقول شبابنا في الغرب.

إن البيئة الغربية مصدر الإلحاد ومنبت التشكيك في المُسلَّمات اليقينية ومنطلق العصيان على الأديان، وغير بعيد عنا ما أحدثته فترة العصور الوسطى في علاقة الكنيسة بالحياة؛ الأمر الذي جعل الدين في زاوية الاتهام وعرضة للقصف كل حين.

ليس هنا ما يشجع على التدين ويدعو إليه، بل العكس، على الرغم من الإقبال المتزايد على الإسلام في الآونة الأخيرة نتيجة لجملة من

الأسباب لا يتسع المقال للحديث حولها.

هذا التحدي يفرض على الأسرة والمؤسسات الإسلامية واجبات كثيرة في تزويد الأجيال الجديدة بالمعارف الرصينة التي تغرس اليقين وتحمي العقيدة والدين، وتقي الشباب مصارع ضياع الفكر وضلال الفهم وانحراف الغاية.

- إسلام بمواصفات غربية:

لم يكن الإسلام في يوم من الأيام خصماً للشعوب، بل انحاز دائماً وأبداً إلى المظلومين والضعفاء، وهل هناك دين أعلن حرباً من أجل الفقراء إلا الإسلام؟ فحينما رفضت قبائل العرب دفع الزكاة لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فما كان منه إلا أن مرَّغ أنوفهم في التراب وأعلن قتالهم دفاعاً عن حق الفقراء.

إنَّ الإسلام يقف كالجبال الرواسي في وجوه الطغاة وأصحاب المصالح والمطامع والأهواء ومن يأكلون أموال الناس بالباطل، وهو في الوقت نفسه يمد يده بالسلام ويفتح عقله للحوار البنَّاء، وقلبه بالخير لكل الناس وجوارحه بالعطاء والندى.

غير أن الملأ من «اللوبيات» يرون في الإسلام تحدياً لمصالحهم وعقبة دون أجنداتهم وثقافتهم، وحائلاً دون أساليب الحياة التي يريدون صبغ العالم بها؛ لذلك تراهم لا يتوقفون عن محاولات متكررة تهدف إلى صناعة إسلام على مقاسات النموذج الغربي، يريدون إسلاماً مستأنساً، يريدونه رجلاً ضعيفاً مريضاً يقبل كل ما يُملى عليه، فقط عليه أن يوقّع دون معارضة، يريدون قرآناً بلا سُنة، وعقيدة بلا شريعة، وأحكاماً متغيرة، ثم بعدها لن يرضوا عنا مهما بذلنا لهم من ديننا وهويتنا.

فهذا من التهديدات الكبيرة التي تواجهه الأجيال الجديدة في الغرب، وهناك عشرات الملايين التي تُنفق على مراكز الأبحاث للصد عن سبيل الله تعالى، والأخطر في الأمر أن كثيراً من أبناء المسلمين يستهلكون ما تنتجه الجامعات الغربية من دراسات ومضامين معرفية تقوم في أغلبها على صناعة إسلام غير الصبغة التي أرادها الله تعالى لنا؛ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ (البقرة ١٣٨).

وقد أصدرت مؤسسة «راند» التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية تقريراً عام ٢٠٠٧م حول النموذج المناسب للإسلام الذي تريده أمريكا، حيث يمكن لقوى الاستعمار قديماً وحديثاً أن تقبل الإسلام ذا النكهة الصوفية، لكنها لا تقبل الإسلام الحي، الذي يصل الدنيا بالآخرة، والعقل بالنقل، ويربط العلم بالإيمان، ويوازن بين المادة والروح، والثوابت والمتغيرات، ويجعل شخصية المسلم شخصية مستقلة الفكر والنظر والوجهة والاختيار، تقبل كل جديد نافع، وترد ما يعارض قيمها وعقيدتها ولا كرامة.

فهذا تحدٍّ كبير تواجهه هوية المسلم في الغرب، غير أننا نؤكد أن جهوداً جبارة، على كل صعيد، تبذلها المؤسسات الإسلامية والأسر المسلمة من أجل حفظ هوية الأجيال الجديدة.

- الأسرة وتحدي الهوية:

لا تخطئ العين أنَّ الأسرة في زماننا وبيئتنا لم تواجه حرباً كونية على قيمها وأصولها ومفهومها كما تواجهه الآن، ومن الأهمية بمكان أن تدرك الأسرة المسلمة في الغرب التغيرات الفكرية التي طرأت على مفهوم الأسرة ما بعد الحداثة كما يقول د. طه عبدالرحمن في كتابه «روح الحداثة»، حول الأفكار التي طرأت على مفهوم الأسرة من منظور غربي تحت عنوان «نظام الأسرة الغربية والتفصيل الموجه»: أريدَ للأسرة الحداثية الانفصال عن الأخلاق التقليدية التي مصدرها الدين على اعتبار أنها في زعمهم لا إنسانية ولا عقلانية ولا دنيوية، فذهبوا إلى ضرورة فصل الأخلاق عن الدين باعتماد مبادئ ثلاثة:

الأول: مبدأ التوجه إلى الإنسان باعتباره قادراً على تدبير أمور نفسه ويستطيع أن يقوم بنفسه؛ أي: الانفصال عن الإله!

الثاني: التوسل بالعقل، بأن نترك التوسل في أفكارنا وسلوكنا بالوحي ونقتصر فيها على التوسل بالعقل؛ أي: الانفصال عن الوحي!

الثالث: مبدأ التعلق بالدنيا، بأن نترك التعلق في أعمالنا ومعاملاتنا بالآخرة ونقتصر فيها على التعلق بالدنيا؛ أي: الانفصال عن الآخرة!

ونجد أن هيمنة تلك المبادئ على أخلاق الأسرة المعاصرة تُفضي إلى مزيد من عزل الأخلاق عن الدين في إطار الأسرة وعزل الأسرة عن المجتمع، بل عزل الأسرة عن نفسها.. إن أساس صلاح العالم بأسره في سلامة الأسرة، وأس خراب الدنيا في انهيار الأسرة؛ لذلك نجد العناية الكبرى بالأسرة المسلمة ومنظومتها الكاملة في القرآن الكريم وتحديداً في سورة «البقرة» في آيات كثيرة.

ثم نجد الإشارة الواضحة في سورة «الطلاق» إلى أن خراب العالم في انهيار الأسرة، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً ۝٩ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾ (الطلاق).

إن التهديدات التي تواجهها الأسرة المسلمة بوجه خاص والأسرة بوجه عام عبر القوانين والتشريعات وحالة الإرهاب الفكري والنفسي التي تمارسها دول ومؤسسات على المجتمعات، والسعي المجنون لفرض النموذج المنحرف عن الفطرة على الجماهير؛ لهو نذير شؤم على العالم، والواجب على كل عاقل رشيد أن يتمسك بهوية الأسرة ونموذجها الفطري الذي فطر الله تعالى الناس عليه.■

بين «نكسة يونيو» و«طوفان الأقصى».. كيف تتشكل الهويات؟

فاطمة عبدالرؤوف

يعد سقوط الخلافة العثمانية حدثاً فاصلاً في تاريخ أمتنا الحضاري، فبعد أن كان سقوط خلافة إسلامية ما يعقبه قيام خلافة أخرى تحمل نفس الهوية الدينية مع اختلاف الجنس والعرق والقومية، إلا أن المقدس الديني لا يمس، بل يكون هو ركيزة الشرعية للخلافة الجديدة.

أما تجربة الخلافة العثمانية فكانت مختلفة تمام الاختلاف، فالخلافة التي ضعفت وانتشرت فيها أمراض الأمم الذابلة وهو أمر معتاد فيما يعرف بدورة الحضارة، تم إسقاطها وإسقاط الهوية التي كانت تمنحها الشرعية؛ ألا وهي الجامعة الإسلامية، وتحول مركز الخلافة لنشاط قومي متطرف سعى لاحتقار الهوية الإسلامية، بل وتجريمها وتحميلها أسباب التأخر الحضاري، وهو ما انعكس على بلادنا العربية التي سعت هي الأخرى وراء سردية القومية العربية كهوية بديلة لهوية الجامعة الإسلامية التي تم لفظها، بعد أن اقترنت بصورة الجهل والفساد والاستبداد والجمود، وهي السمات التي تتواجد في الحضارات المحتضرة ولا علاقة بينها وبين الهوية الدينية، بل إن القيم الإسلامية التي تعلي من قيمة الشورى والعدالة والمسؤولية هي على النقيض تماماً من ذلك.

ولكن وقوع التناقض ما بين القيم الكبرى للهوية والواقع المزري ومحاولة المطابقة بين الاثنين أفرز في نهاية الأمر (مع مؤامرات

بعد سقوط الخلافة العثمانية تصاعد اتجاهان جديدان للهوية أحدهما الوطنية والآخر القومية العربية

فكرية وعسكرية من الحضارة الغربية التي قامت بتجديد هويتها) هذا النفور من الهوية الإسلامية، حيث تم اعتبار الدين مسألة فردية وقضية شخصية، أما الهوية فهي للعرق واللغة، ومن ثم راجت القومية العربية كبديل قادر على الوقوف في مواجهة الاحتلال ومشروعه الإمبريالي في فلسطين.

نكسة يونيو

على الرغم من أنه لا تعارض بين الهوية الوطنية والقومية والدينية فهي مجرد دوائر متداخلة قد تبدأ بهويات أصغر ربما تبدأ من الأسرة وتنتهي بهويات أوسع تشمل الجنس البشري كله حيث الأخوة الإنسانية؛ فإن هذا الطرح يبدو نظرياً، فثمة هوية تسيطر على الأمة في وقت ما، وتصبح هي أم الهويات، إن جاز التعبير، وبعد انهيار الخلافة العثمانية المأساوي، تصاعد اتجاهان جديدان للهوية؛ أحدهما الهوية الوطنية، والاتجاه الآخر هو الهوية القومية العربية، ولكن مع قرارات تقسيم فلسطين وإعلان وطن قومي لليهود ومن ثم قيام حرب عام ١٩٤٨ تم تصعيد توجه القومية العربية كهوية جديدة للأمة في مواجهة الاحتلال ورأس حربته في فلسطين.

كان كل شيء يمهد الأرض للهوية الجديدة؛ مناهج التعليم، الفنون، التنظيمات الشعبية الجديدة، الصحف، كل شيء يتشابك لصناعة العربي الجديد القادر على هزيمة الكيان الصهيوني وتحرير أمته من نير الاحتلال والارتقاء بها إلى صفوف الأمم المتقدمة.

ويمكن هنا أن نلحظ أن ترسيخ الهوية الجديدة قد سار في اتجاهين؛ أحدهما شعبي مثله اتحادات الطلاب في الجامعات ونقابات العمال والصحف، والطرح الآخر رسمي عن طريق محاولات الوحدة وصناعة تنظيمات سياسية موجهة، وحتى إخراس الأصوات المعارضة والزج بهم في السجون.

وفي هذا السياق، نلحظ قيام بعض المشروعات الكبرى والقرارات السياسية التي تتسم بالجرأة وتحدي القوى الاستعمارية، بل ومحاولة صناعة تحالفات دولية جديدة كمجموعة دول عدم الانحياز، ونحو ذلك مما ألهب حماس الجماهير في انتظار الخطوة الكبرى المنتظرة هزيمة العدو الصهيوني وتطهير الأرض من رجسه وإلقائه في البحر إن أمكن!

كانت القصائد المشتعلة والكلمات والأغاني القومية التي مثلت وعي الشباب في هذه الفترة الوقود العاطفي والوجداني لهذه الهوية الجديدة التي تشكل «القومية العربية» التي تحولت لسردية عظيمة، وأصبحت القضية الفلسطينية مقدساً قومياً وفقاً لهذه السردية، تم تهميش الحريات ورفض المعارضة وأي حديث عن أي هوية أخرى، حتى لو كانت الهوية الإسلامية، فلا صوت يعلو فوق صوت المعركة.

حتى استيقظت الأمة على نكسة زلزال الأيام الستة التي أطاحت بكل الأحلام الكبيرة والتضحيات العظيمة التي عاشتها الشعوب العربية، هزيمة مخجلة بكل المقاييس، جيوش لم تحارب، ابتلاع أراض عربية جديدة على كافة خطوط الاشتباك وضياع الباقي من أرض فلسطين المقدسة.

مثلت الهزيمة الثقيلة على الأرض المسمار الأول في نعش هوية القومية العربية، وفتحت الباب واسعاً للتساؤلات والمراجعات، وسقطت صورة الزعماء الملهمين الذين أودعتهم الأمة آمالها، استمر تيار القومية العربية ممثلاً

الهزيمة الثقيلة في نكسة يونيو ١٩٦٧م مثلت المسمار الأول في نعش هوية القومية العربية

«طوفان الأقصى» تشكل إرهاصات لهوية جديدة لأمة إسلامية قادرة على الفعل يُحسب حسابها جيداً

للهوية الجديدة عدة سنوات أخرى، ربما بفعل القصور الذاتي، وربما لتحويل مسؤولية الهزيمة لبعض القادة الفاسدين وليس للمشروع ذاته، حتى اعتبرت الهزيمة مجرد نكسة لمسار التقدم القومي العربي.

معركة «طوفان الأقصى»

جاء انتصار أكتوبر ١٩٧٣م بمثابة رد اعتبار لكرامة الأمة التي أهدرت في العام ١٩٦٧م، وكان شعار «الله أكبر» الذي رفع في هذه الحرب إيذاناً بأن هوية جديدة للأمة في طور التشكل، إلا أن ما حدث بعد ذلك هو حالة من الصراع الهوياتي، ما بين الهوية القومية صاحبة الزخم الثقافي الأعلى والهوية الإسلامية التي تسعى للتجديد بعيداً عن الإرث العثماني وما صاحبها من مدارس وتجارب، ثم عودة الهوية الوطنية بعد كفر قطاعات كبيرة بالهوية القومية، وبعد بدء مسار المفاوضات والسلام والتطبيع والصلح والقبول بالكيان الصهيوني كجزء من «الشرق الأوسط».

كل هذا أدى لولادة تدريجية لهوية جديدة تتكرت جزئياً أو بصورة شبه كلية للقضية الفلسطينية، والتطبيع الذي بدأ بارداً محدوداً مداناً في معظم الأقطار أصبح دافئاً حاراً تتسارع الخطوات للحاق بقطاره، ذابت الهوية الوطنية الممزقة في هوية العولمة الجديدة؛ حيث مثل القبول بالكيان الصهيوني والتعاطي معه أحد شروط الاندماج فيها.

نسخة مشوهة من العولمة تلك التي شكلت هوية أمتنا في الفترة الأخيرة، فالبرجماتية كفلسفة، والاستبداد كنمط للحكم، والاقتصاد الريعي كمصدر للدخل، وغياب أي مشروعات كبرى حقيقية سواء على المستوى الوطني أو القومي، والتنكر للغة العربية في الأوساط الشبابية والتعليمية، والأسوأ من ذلك كله الشعور أننا مجبرون على هذه الهوية، عاجزون عن الفعل؛ أن الكيان الصهيوني أصبح حقيقة وجودية لا بد من تقبلها والتعامل معها.

جاءت معركة «طوفان الأقصى» في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م، لتزلزل مسار الأحداث، وكأن ما حدث من انتصار للعدو في حرب الأيام الستة وما تلا ذلك من مسارات قد جاءه اليوم السابع المستحق ليخلخل بنيته ويحطم أوهامه، فبعد أن أوشك العدو ومعه القوى الإمبريالية الجديدة على تحقيق نصر حاسم لم يكن كمعركة يونيو التي قد تكون نكسة وينصلح المسار، وإنما على مستوى اختراق الوعي والهوية؛ أن تقبل الأمة الهزيمة برضاها، بل وربما رأت في الهزيمة نصراً، أن ترى في عدوها وداعميه قوة لا يمكن أن تُقهر أو تُقاوَم فتقرر الاستسلام تحت مسمى الصداقة.

ولكن «طوفان الأقصى» تأتي لتثبت لهم أنهم سقطوا ضحايا الهزيمة النفسية، وأن مجموعة مقاومة صغيرة العدد بدائية العتاد تُرهب وتُرعب العدو فقط؛ لأنهم جعلوا من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٧) شعاراً لهم، فاجتهدوا في الرمي وتوكلوا على الله فحققوا ما كان يتصوره العاجزون مستحيلاً.

نستطيع أن نقول: إن «طوفان الأقصى» تشكل إرهاصات لهوية جديدة لأمة إسلامية قادرة على الفعل يحسب حسابها جيداً، وليست مجرد غثاء كغثاء السيل، فالسعي والرمي والنصر بوابة الشعوب لتشكيل الهويات.■

تغيرات المشهد السياسي التركي وتأثيراتها المستقبلية

منذ اعتماد النظام الرئاسي عام ٢٠١٧م تبلورت ظاهرة تشظي الأحزاب التقليدية الكبيرة

الرسالة الأبرز التي خرج بها «العدالة والتنمية» بعد الانتخابات ضرورة التغيير والتجديد

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

لبعض الاستحقاقات الانتخابية، تبعاً لأهميتها، تأثيرات وارتدادات على المشهد السياسي والحزبي في تركيا، والانتخابات المحلية الأخيرة التي أجريت نهاية مارس الماضي من هذا النوع من الانتخابات؛ إذ رغم أنها انتخابات محلية تتعلق بعمل البلديات، فإنها حَمَلت وحُمّلت أبعاداً سياسية قبل الاستحقاق وبعد ظهور النتائج، وتحديداً بعد حلول حزب العدالة والتنمية في المركز الثاني بعد خصمه التقليدي حزب الشعب الجمهوري لأول مرة.

قبل هذه الانتخابات، ومنذ اعتماد النظام الرئاسي في البلاد عام ٢٠١٧م، تبلورت ظاهرة واضحة في الحياة السياسية التركية هي تشظي الأحزاب التقليدية الكبيرة، فقد تأسس حزبان خرجا من رحم العدالة والتنمية برئاسة القياديين السابقين في الحزب أحمد داود أوغلو، وعلي باباجان، وانشق أكثر من حزب من الشعب الجمهوري، أهمها حزب البلد بقيادة المرشح الرئاسي السابق محرم إينجة، وأسس فاتح أربكان (نجل رئيس الوزراء الأسبق والقيادي الإسلامي المعروف نجم الدين أربكان) حزب الرفاه مجدداً الخارج من عباءة حزب السعادة، كما تأسست عدة أحزاب قومية خرجت من الحزب الجيد الذي كان أصلاً انشقاقاً عن حزب الحركة القومية.

والسبب الرئيس الذي أدى لهذا التشظي هو تطبيق النظام الرئاسي في البلاد، الذي انتقلت معه الأهمية القصوى من مجلس الأمة الكبير (البرلمان) والحكومة -وبالتالي الأحزاب السياسية- إلى مؤسسة الرئاسة والرئيس؛ ما جعل الأحزاب أقل أهمية نسبياً في المعادلة السياسية الداخلية، لا سيما أن النظام الرئاسي منح صلاحيات واسعة للرئيس وحكومته على حساب البرلمان المشكّل من الأحزاب السياسية المختلفة.

وهو سبب رئيس يضاف إلى أسباب أخرى سابقة من بينها الأزمة الاقتصادية والجمود السياسي في البلاد في السنوات القليلة الأخيرة، وبحث النخبة السياسية وبعض الشرائح المجتمعية عن بدائل جديدة للأحزاب القائمة المعروفة.

دائماً ما كانت للانتخابات انعكاسات على الحياة السياسية، وخصوصاً الانتخابات التشريعية، إلا أن الانتخابات المحلية الأخيرة امتلكت القدرة على التأثير لأنها حُمّلت رهانات إضافية، مثل ادعاء العدالة والتنمية القدرة على استعادة بلديتي أنقرة وإسطنبول، ورهن رئيسة الحزب الجيد ميرال أكشنار مستقبلها في رئاسة الحزب بنتيجة الأخير في الانتخابات، وتغيير رئيس حزب الشعب الجمهوري قبيل الانتخابات.

المعارضة

انصبَّ الارتداد الأكبر للانتخابات الأخيرة

في صفوف المعارضة على الحزب الجيد، حيث كانت رئيسته أكشنار رفضت بشكل قاطع التحالف مجدداً مع حزب الشعب الجمهوري واعدة بتقدم كبير لحزبها، ومتعهدة بتحمل المسؤولية كاملة في حال لم يحصل ذلك.

ولأن الانتخابات أتت بتراجع كبير لحزبها جعله في مقدمة الخاسرين، فقد دعت لمؤتمر استثنائي للحزب لانتخاب رئيس جديد ولم تجدد ترشحها فيه، فكان أن تنحت عن الرئاسة وعن العمل السياسي إلى حد كبير، بعد انتخاب مُسوَّد دوريش أوغلو رئيساً جديداً للحزب الجيد.

النتيجة المتراجعة وتغيير الرئيس يعنيان أن الحزب الجيد سيكون منشغلاً في المرحلة المقبلة في ترتيب البيت الداخلي وإعادة تنظيم صفوفه ومحاولة استعادة ثقة الشارع وخصوصاً الشريحة القومية، ويعنيان كذلك أن حظوظه في مرحلة ما بعد دولت بهجلي (رئيس حزب الحركة القومية وزعيم التيار القومي في تركيا) تراجعت بشكل ملحوظ حتى إشعار آخر أو تغير كبير غير متوقع حالياً.

من زاوية أخرى، لم تفز الأحزاب الصغيرة المعارضة حديثة التأسيس -باستثناء الرفاه مجدداً- برئاسة بلدية أي مدينة كبرى أو محافظة، وحصلت على نتائج متواضعة جداً في الاستحقاق الذي دخلته بشكل منفرد بعد الانضمام لتحالف الأمة المعارض في الانتخابات الرئاسية والتشريعية العام الماضي، ويعني ذلك أن استمرار حضور هذه الأحزاب في المشهد السياسي الداخلي على المحك اليوم ويحتاج منها لعمل استثنائي لتثبيت أنفسها ومواقفها وبرامجها وإقناع الشارع بها.

أما التأثير الأكبر في صفوف المعارضة فيرتبط بأكبر أحزابها الشعب الجمهوري، الذي كان شهد معركة داخلية أسفرت عن الإطاحة برئيسه كمال كليجدار أوغلو لصالح مرشح تيار التغيير فيه أوزجور أوزال، وقد عززت النتيجة التي وضعت الحزب أولاً للمرة الأولى منذ عقود رئاسة أوزال وأكدت أن التغيير في رئاسة الحزب جاء لمصلحة الأخير، ورفعت معنويات تياره بشكل كبير.

الارتدادات السياسية للانتخابات الأخيرة فاقت قيمة الاستحقاق البلدي وأهميته التقليدية

ولذلك، يتعامل الحزب المعارض مع المرحلة الحالية -ما بعد الانتخابات- بمعنويات عالية وشعارات مختلفة، حيث يردد بأن الشعب اختاره لقيادة البلاد رغم أن الانتخابات محلية، كما سبق شرحه، ومن تمظهرات هذه الثقة زيارة أوزال لحزب العدالة والتنمية واستقبال أردوغان في مقر حزبه، وهو الأمر الذي لم يفعله سلفه لسنوات طويلة.

التحالف الحاكم

في الطرف الآخر، ينطبق ما قلناه عن الحزب الجيد على حزب الحركة القومية المتحالف مع العدالة والتنمية، باستثناء استمرار رئيسه بهجلي في قيادته، لكن الحزب تراجع بشكل ملحوظ دفع الرئيس أردوغان لإعادة النظر في منطق التحالف معه وصياغته وارتداداته على العدالة والتنمية، وعلى ذلك مؤشرات وقرائن تحتاج تفصيلاً لا تحتمله مساحة المقال الحالي.

أما الارتداد الأبرز أثراً فكان على العدالة والتنمية الذي يحكم البلاد منفرداً وفاز بكل الاستحقاقات الانتخابية التي خاضها منذ عام ٢٠٠٢م، ليحل ثانياً للمرة الأولى، وأحد أبرز تجليات تأثر الحزب الحاكم ظهور منافس قوي من بين الأحزاب المحافظة حديثة التأسيس وهو الرفاه مجدداً بقيادة فاتح أربكان، حيث حلَّ الأخير ثالثاً في أول انتخابات محلية يخوضها، وبشكل منفرد دون تحالفات؛ ما جعله الحصان الأسود للاستحقاق الانتخابي الأخير.

ورغم أن فرص الرفاه مجدداً في أي انتخابات تشريعية مقبلة ليست مرتفعة جداً نظراً لأيديولوجيته التي تحدُّ من الشرائح التي يمكن أن تختاره، فإن هذا التطور دفع العدالة والتنمية لسلسلة من المراجعات لتضييق مساحات المناورة والمنافسة أمام الحزب الإسلامي الجديد، وفي مقدمتها القرارات المتعلقة بالعدوان على قطاع غزة والتجارة مع الكيان الصهيوني التي اتخذها الرئيس أردوغان والحكومة بعد الانتخابات.

في المقابل، فإن الرسالة الأبرز والأقوى والأوضح من الانتخابات خرج بها العدالة والتنمية نفسه وهي ضرورة التغيير والتعديل والتطوير والتجديد، وهي الرسالة التي وعد الرئيس التركي بالعمل بمفادها في المرحلة المقبلة، وأول المسارات التي وعد بها الأخير هو المؤتمر العام للحزب الذي بدأت محطاته الأولى بالاجتماعات الاستشارية مع رؤساء البلديات والكتلة البرلمانية للحزب، ويفترض أن تشهد محطته الأخيرة تجديد الهيئات القيادية الرقابية والاستشارية والتنفيذية فيه.

بيد أن العدالة والتنمية يدرك أن هذا القدر من التغيير، الذي يصاحب مؤتمراته عادة، لن يكون كافياً اليوم مع النتيجة الثقيلة والرسالة الواضحة من الشعب، ويدلل على ذلك تصريح أردوغان بأن ما حصل ليس مجرد خسارة أصوات في الانتخابات، وإنما خسارة روح وثقة ناخبين؛ ما قد يؤدي للذوبان مثل الثلج تحت الشمس ما لم يستدرك الحزب.

ولذلك، وبعد التقييم الدقيق لنتائج الانتخابات الأخيرة، يعيد الحزب في هذه المرحلة تقييم مجمل سياساته ومواقفه وخطابه وبعض تحالفاته، واتخاذ القرار فيما يحتاج منها لتعديل أو تغيير، إذ إن تغيير بعض الأسماء في رئاسة فروع الحزب في المحافظات أو في الهيئات القيادية فيه لن يكون كافياً لاستعادة ثقة الشرائح التي قدمت رسالة الاحتجاج في صناديق الاقتراع.

وفي المحصلة، فقد فاقت الارتدادات السياسية والحزبية للانتخابات الأخيرة قيمة الاستحقاق البلدي وأهميته التقليدية، فكان لها آثار مباشرة وغير مباشرة على مجمل الأحزاب السياسية، ووضعت مختلف الأحزاب أمام استحقاقات مهمة حتى لحظة الانتخابات الرئاسية والتشريعية المقبلة في عام ٢٠٢٨م، التي يبدو أنها ستحدد مصائـــــر بعض الأحزاب وقياداتها.■

خدعة استحالة قيام الاقتصاد العالمي على غير الربا (أخيرة)

د. أشـــرف دوابـــــه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

انتقد كينز نظرية المدرسة الرأسمالية التقليدية لسعر الفائدة، التي ترى وجود علاقة طردية بين سعر الفائدة وحجم المدخرات، مبيناً أن الادخار يتوقف على مستوى الدخل وليس سعر الفائدة، بل يقرر أن رفع سعر الفائدة يؤدي إلى عرقلة الاستثمار، وهو ما يؤدي إلى انخفاض الدخل، وبالتالي تناقص المدخرات، وهو بذلك يبرز وجود علاقة عكسية غير مباشرة بين الفائدة والادخار، ويهدم المنطق الذي ذهبت إليه المدرسة التقليدية.

كما أثبت مجموعة من الاقتصاديين والباحثين بجامعة أكسفورد أن سعر الفائدة أداة ضعيفة في بناء النماذج الاقتصادية؛ وبالتالي فهي قليلة الفعالية في التحليل الاقتصادي وتفسير المتغيرات والظواهر الاقتصادية.

ويرى هابرلر أن «نظرية الفائدة كانت لمدة طويلة نقطة ضعف في علم الاقتصاد، ولا يزال تفسير وتحديد معدل الفائدة يثيران من الخلاف بين رجال الاقتصاد أكثر من أي فرع آخر من فروع النظرية العامة».

ويذكر موريس آليه، الحائز على جائزة «نوبل» في الاقتصاد، أن كبار المفكرين في علم الاقتصاد، ومنهم في المرتبة الأولى فون بوهم بافرك، وإرفينغ فيشر، وجون مينارد كينز، جهدوا منذ أكثر من قرنين في حل مشكلة الفائدة، إلا أنه بالرغم من تباين الأساليب المستخدمة نلاحظ أن القلق لا يزال مخيماً في الأذهان، وأن أياً من النظريات لم تتمكن من أن تفرض نفسها فرضاً قاطعاً، والصعوبات التي تثيرها مشكلة الفائدة لا تزال آخذة في الازدياد كلما ازداد التعمق في تحليلها ودراستها.

إن مشكلة الفائدة تعدّ في الواقع من أشد المشكلات في علم الاقتصاد، وإن دراستها مفيدة وأساسية قطعاً، فعلى حلها النهائي يتوقف في الحقيقة فهم الاقتصاد في مجمله، ومعرفة التدابير العملية التي يجب اتخاذها في كل سياسة رشيدة.

التخلص من سعر الفائدة

إن الغرب لا يخلو من مفكرين يطالبون بالتخلص من سعر الفائدة لما تحققه من خلق أزمات واختلالات في الاقتصاد وتضخماً وغير ذلك من المتاعب الاقتصادية، والأخذ بنظام المشاركة التي تمثل استثماراً حقيقياً غنماً بغرم وليس استثماراً وهمياً قائماً على الاتجار في النقود، حيث يذكر الاقتصادي الأمريكي سيمونز بأن «الكساد العالمي العظيم في الثلاثينيات من القرن الماضي يرجع إلى تغيرات الثقة الناشئة عن نظام ائتماني غير مستقر، وأن خطر الاضطراب الاقتصادي يمكن تفاديه إلى حدٍّ كبيرٍ إذا لم يتم اللجوء إلى الاقتراض،

وإذا ما تمت الاستثمارات كلها في شكل تمويل ذاتي وبالمشاركة».

وكان كينز يرى أن أفضل استخدام للأموال حينما يصل سعر الفائدة إلى الصفر، ويتفق الكثير من الاقتصاديين، وفي مقدمتهم كينز، وسيمونز، وفريدمان (أبو الاقتصاد النقدي)، على أن التقلبات الاقتصادية التي يعاني منها الاقتصاد الرأسمالي المعاصر ترجع بالأساس إلى التقلبات الطائشة في سعر الفائدة.

ومنذ عقدين من الزمان تطرق الاقتصادي الفرنسي موريس آليه إلى الأزمة الهيكلية التي يشهدها الاقتصاد العالمي بقيادة «الليبرالية المتوحشة»، واعتبر أن الوضع على حافة بركان ومهدد بالانهيار تحت وطأة الأزمة المضاعفة (المديونية والبطالة)، واقترح للخروج من الأزمة وإعادة التوازن شرطين؛ هما: تعديل معدل الفائدة إلى حدود الصفر، وتعديل معدل الضريبة إلى نحو ٢%، وهو ما يتوافق مع إلغاء الربا، ونسبة الزكاة المقررة في النظام الاقتصادي الإسلامي، بل إنه ذكر أن أحد أهم أسباب ضعف الاقتصاد الرأسمالي يرجع إلى عملية النقود الائتمانية أو خلق نقود الودائع من قبل البنوك التجارية، وطالب بتتبع هذا الخلق وأن تكون هناك رقابة شديدة من قبل البنوك المركزية على عرض النقود.

وقد اقترح م. راوبوتام إصدار مرسوم أو سن قانون يحظر على البنوك الحصول على نسبة فائدة عند قيامها بمختلف التعاملات الائتمانية، على أن تبقى المؤسسات الإقراضية في أيدي القطاع الخاص، بحيث يتم الطلب من المصارف أن تكسب الأموال لا أن تخلقها من العدم، أي أن تحيا على الرسوم والعمولات، مثلما ما تفعله اليوم البنوك الإسلامية.

الغرب لا يخلو من مفكرين يطالبون بالتخلص من سعر الفائدة لما تحققه من أزمات بالاقتصاد

حين تعزم الأمة على ملك إرادتها والتخلص من النظام الربوي العالمي ستعود لها حياتها المطمئنة

كما أنه بعد حدوث الأزمة المالية العالمية في العام ٢٠٠٨م، ذكرت صحيفة «الفاتيكان» الرسمية المعروفة باسم «أوسيرفاتور رومانو»، في عدد ٦ مارس ٢٠٠٩م، أنه قد تقوم التعليمات الأخلاقية التي ترتكز عليها المالية الإسلامية، بتقريب البنوك إلى عملائها بشكل أكثر من ذي قبل، فضلاً على أن هذه المبادئ قد تجعل هذه البنوك تتحلى بالروح الحقيقية المفترض وجودها بين كل مؤسسة تقدم خدمات مالية.

تطبيق الشريعة الإسلامية

كما دعت كبرى الصحف الاقتصادية في أوروبا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال الاقتصادي كحل للتخلص من براثن النظام الرأسمالي الذي يقف وراء الكارثة الاقتصادية التي تخيم على العالم، ففي افتتاحية لمجلة «CHALLENGES» الفرنسية، في ١١ سبتمبر ٢٠٠٨م، كتب رئيس تحريرها VINCENT BEAUFILS موضوعاً بعنوان «البابا أو القرآن»، تساءل فيه عن أخلاقية الرأسمالية؟ وقال: أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا؛ لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات وما وصلت بنا الحال إلى هذا الوضع المزري؛ لأن النقود لا تلد النقود.

كما طالب ROLAND LASKINE، رئيس تحرير صحيفة «LE JOURNAL DES FIENANCE» الفرنسية في مقال له في افتتاحية الصحيفة، في ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٨م، بعنوان «هل تأهلت وول ستريت لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية؟»، طالب بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي والاقتصادي لوضع حد لهذه الأزمة التي تهز أسواق العالم من جراء التلاعب بقواعد التعامل والإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة.

إن الله تعالى لا يمكن أن يحرم شيئاً ويأذن بالحرب على فاعله ويحقق للبشرية طمأنينة أو استقراراً، فالخبث لا يخرج إلا نكداً، وقد آن لمن غرتهم الحياة الاقتصادية الغربية المزيفة أن يعودوا إلى صوابهم ولا ينخدعوا بالكذبة الكبرى التي تهزم أنفسهم من الداخل وتكسر إرادتهم وتجعلهم أسرى للنظام الرأسمالي، بدعوى استحالة قيام النظام الاقتصادي العالمي على غير الربا أو سعر الفائدة، والخير كل الخير بين أيديهم في المنهج الاقتصادي لربهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وحين تصح النية، وتعزم الأمة على ملك إرادتها بيدها والتخلص من قبضة النظام الربوي العالمي، سوف تعود لها حياتها المطمئنة، وتملأ البركة والسعادة جنباتها، وترفرف رايات التنمية في اقتصادها، من خلال النظام الاقتصادي الإسلامي الرشيد الذي أراده الله للبشرية، الذي طبق فعلاً، ونمت الحياة في ظله، وعرف المجتمع من خلاله نظافة المال وحسن استثماره، وطهارة المجتمع واستقراره.■

صيغ الوحدة السياسية في أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر (5)

«كومنولث».. ولايات إسلامية متحدة

د. إبراهيم نويري
كاتب وباحث أكاديمي - الجزائر

عرضنا في المقال السابق التوجه الثالث نحو أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر فيما يتعلق بمسألة صيغ الوحدة السياسية بعد مرحلة سقوط الخلافة الإسلامية، وذكرنا الصيغة الثالثة؛ وهي الجامعة الإسلامية، فيما نستعرض في هذا المقال توجهات تكاد تكون متقاربة في مضمونها، لمجموعة من المفكرين والدعاة وكذلك الحركات الإسلامية المعاصرة.

«كومنولث» إسلامي:

بعد ذهاب جيل رواد فكرة الجامعة الإسلامية، ظهر جيل جديد يرتكز فكره وتنظيره على المرجعية الإسلامية في جميع أبعادها، وكان من الطبيعي أن يهتم هذا الجيل بوحدة المسلمين السياسية لا سيما عقب إعلان سقوط الخلافة الإسلامية.

ومن أبرز وجوه هذا الجيل المفكر الجزائري مالك بن نبي، الذي يقدم مقترحاً مفاده أن يكون مشروع الوحدة السياسية الخاص بالعالم الإسلامي في صورة ما أطلق عليه مصطلح «كومنولث إسلامي»؛ أي «اتحاد فيدرالي بين العوالم الإسلامية يترأسه مؤتمر إسلامي يقوم بدور الهيئة المنفّذة لهذا الاتحاد»[1]؛ وبالرغم من إدراك بن نبي للعوائق والعراقيل التي تعترض فكرة هذا المشروع الضخم في المرحلة الراهنة التي تعيشها الأمة الإسلامية والعالم الإسلامي، فإنه يعتقد بأهميّة وجدوى التخطيط العملي للمشروع، كونه يستند إلى حقيقتين قائمتين، وأن تجاوزهما يبدو أمراً متعذراً، وهما:

الأولى: أن الكتلة الإسلامية موزعة على أطراف جغرافية مترامية، في كلّ من آسيا وأفريقيا وأوروبا؛ الأمر الذي يجعل العالم الإسلامي يبدو كأنه، وفق الجغرافيا السياسية، عوالم متعددة وأيضاً متباعدة، وهي:

١- العالم الإسلامي الزنجي أو الأفريقي.

٢- العالم الإسلامي العربي.

٣- العالم الإسلامي الخُراساني (فارس وأفغانستان وباكستان).

٤- العالم الإسلامي الماليزي (إندونيسيا وماليزيا وبلاد الملايو).

٥- العالم الإسلامي الصيني - المنغولي (الجنس الأصفر).

٦- العالم الإسلامي الأوروبي (تركيا ودول البلقان).

فهذا التعدد، في نظر بن نبي، يتطلب تفعيل مبدأ التكامل، وهو أمر يقتضي أيضاً الإلمام بكلّ المعطيات التي تتعلق بمكوّنات العالم الإسلامي، كي تكون فكرة تصميم وحدته بمنأى عن التعقيدات التي قد تتأتى من بعض تلك المعطيات، ولعل العنصر الشيعي أحد العوامل التي قد تضفي لوناً من التعقيد على هذا التصميم[2].

فيبدو أن بن نبي هنا يؤمن بأنه من الأجدى لمبدأ التكامل التركيز على وضع حلول للمشكلات المشتركة، والإقرار بخصوصيات بعض الأقاليم والمناطق، وذلك من منطلق أن معظم مشكلات

العالم الإسلامي، ومن بينها ضعفه وتشتته، لم تكن نتيجة طبيعية لمشكلات الأمة الإسلامية المعقدة، بقدر ما كانت نتيجة لضعف أو غياب الإرادة الجماعية المؤمنة بواجب تغيير أوضاع الأمة على الصعيد السياسي والحضاري، واستعادة دور الأمة الحقيقي المتمثل في الشهود والبلاغ والتجدّد.

الثانية: فعالية العامل الروحي؛ إذ إن العالم الإسلامي، وبالرغم مما أصابه من عوامل الوهن والتخلف، وهيمنة القوى الغربية على مقدراته، قد احتفظ بوحدة روحية، وهي صالحة كي تكون عاملاً أساسياً من الناحية النفسية في تماسك هذا المشروع، كما هي مؤهلة من الناحية الفنية أيضاً في التوفيق بين عناصره، غير أن هذه الوحدة لا يسعها أن تقوم فعلياً بدورها المرتقب منها أو المنوط بها، إلا إذا تجسّمت في صورة أو شكل يحقق إرادة العالم الإسلامي الجماعية، وهذا ربما يقتضي ضرورة مراجعة مسألة الخلافة ومفهومها على ضوء المعطيات الجديدة والتطورات التي حصلت في العالم الإسلامي.

ويذهب بن نبي إلى أن هذا الجهد ينبغي أن يضطلع به فقهاء وخبراء القانون ممن يحملون هموم الواقع الإسلامي، لكن دون تجاهل أو إغفال لما يحمله المفهوم الإسلامي لمصطلح «أمة» من تنوّع من حيث السياسة والجغرافيا والعرق.. إلخ[٣].

إن بن نبي بقدر استشعاره وإدراكه للأبعاد المعقدة والعراقيل الداخلية والخارجية لمشروع «الكومنولث الإسلامي الوحدوي»، بقدر ما ينثر ويشيع روح الأمل والتفاؤل، وذلك بالاستناد إلى سنن الله تعالى في الحياة والكائنات؛ إذ إنّ بذرة الحياة ليست سوى مجرد رمز في اللحظة التي تضعها «العناية» في رحم أم من الأمهات، ما وزنها؟ لا شيء أو كاللاشيء، ومع ذلك؛ فإن مثل هذه البذور قد أنتجت الأنبياء والعبقريات الكبيرة التي وجّهت الحياة على صعيد هذه الأرض، وإذا ما اجتمع بعض الأفراد في ٥ لجان أو ٦، لدراسة فكرة «كومنولث إسلامي»، فإن اجتماعهم يمكن أن يبدو وكأنه لا معنى له! ومع ذلك فإن عالماً كاملاً يمكن أن ينشأ عن هذا الالتقاء[٤].

ولايات إسلامية متحدة:

أما الداعية الشيخ محمد الغزالي، فنجده في كتابات كثيرة له، يُلحّ على ضرورة أن يشحذ المسلمون هممهم ويعملوا بجد وعزم على قيام وحدة إسلامية شاملة أو خلافة عظمى، ذلك أن كلّ العقائد في الأرض لها دولة أو أكثر، تُخلص

بن نبي: إنشاء «كومنولث» بين العوالم الإسلامية يترأسه مؤتمر إسلامي يقوم بدور الهيئة المنفّذة

الغزالي: تحويل الأقطار الإسلامية القائمة في صورة أنظمة قومية ودول قُطرية إلى «ولايات إسلامية متحدة»

في خدمتها، وإقناع الآخرين بصلاحها وجدواها، فكيف يُحرم الإسلام من دولة مركزية جامعة للأمة، تسهر على نشر مبادئه والتعريف بتعاليمه في أصقاع المعمورة؟

وقد وجد الغزالي في بداية الأمر فكرة عدم الانحياز، الداعية لرفض التبعية للمعسكرين المهيمنين، خلال تلك الحقبة التاريخية؛ أي المعسكر الرأسمالي، والمعسكر الشيوعي، محطة تاريخية للتذكير بالمصير السياسي للأمة الإسلامية، والتفكير في وحدتها السياسية والإدارية، حيث يقول: «تجمّع عدم الانحياز بالنسبة إلينا نحن المسلمين، له دوافع نفسية وتاريخية وحضارية واجتماعية وإيمانية لا حصر لها، إننا نأنف من التبعية لأي جبهة أجنبية كما يأنف الفيلسوف من اتباع العامي، ولو كان هذا الفيلسوف قد جارت عليه الليالي، وكان هذا العامي يخبُّ في الحرير.. إن تقديرنا لرسالتنا ولأنفسنا يجعلنا أكبر من أن يعدّنا أي معسكر في الدنيا ذَنَباً له أو تابعاً يعيش في كنفه، ومن ثمّ فنحن لا ننحاز لأحد، إن انحيازنا هو لمبادئ الشرف وأصول العدالة، وخطتنا ينبغي أن تكون نابعة من تبعيتنا لله وحده ومن وفائنا للوظيفة الكبرى التي تخيّرتنا السماء لها[٥].

ومن الصيغ التي يقترحها الغزالي لوحدة المسلمين السياسية، تحوير مؤسسة منظمة المؤتمر الإسلامي (التعاون الإسلامي حالياً) كي تصبح إطاراً مؤهلاً وقادراً على تمثيل المسلمين جميعاً، على أن يتمّ في هذه المرحلة اختيار أمين عام لهذه المنظمة، تتجسد في شخصه كلّ آمال وآلام وتطلعات الأمة الإسلامية، ليأخذ فيما بعد وضع الخليفة، ويقوم بالتكاليف المنوطة بذمة مَن يتولى هذا المنصب.

ولا يتوقف اقتراح الغزالي عند هذا الحد، بل إنه يعالج البعد الجغرافي أيضاً للعالم الإسلامي، حيث يقترح فكرة تحويل الأقطار الإسلامية القائمة حالياً، في صورة أنظمة قومية ودول قُطرية، إلى شكل «ولايات إسلامية متحدة» كما هو حال الكيان السياسي القائم في الولايات المتحدة الأمريكية، على أن يكون الرئيس المنتخب من جماعة المسلمين في قارتي آسيا وأفريقيا هو مَن يمثل خليفة المسلمين، كما أنه يكون رمزاً للوحدة الإسلامية.

مع ملاحظة أن الغزالي لا يقدّم هذا التصور للمستقبل الإسلامي السياسي على المستوى الزمني المتوسط أو البعيد، بل إنه يقدمه لهذه المرحلة، التي يغلب فيها على معظم الدول والفضاءات الإقليمية والسياسية التوجه نحو التكامل الاقتصادي والتكتّل السياسي؛ لذلك فهو يرى أن صيغة الوحدة السياسية التي يقترحها، إذا تعذّر قيامها في هذه المرحلة التاريخية التي تمرّ بها الأمة الإسلامية، نتيجة أوضاعها الراهنة الموغلة في التعقيد، فإن الحدّ الأدنى من الوحدة، التي ينبغي التشبث بها، أن يجمع بين الأقطار الإسلامية والأقليات الإسلامية المتواجدة في القارات الخمس نظامٌ يضاهي من الناحية التنظيمية «الاتحاد الكونفدرالي» يسمح ببقاء المعالم المحلية، وفي الوقت ذاته يجعل المسلمين في العالم كله كتلة بشرية، يجمعهم هدف واحد وتطلعات متناغمة في الميدان الدولي[٦].

فهذه الرؤية التي يقدمها الغزالي لوحدة المسلمين السياسية، فضلاً عن واقعيتها، فهي تنسجم أيضاً مع إيمانه بكون استعادة الخلافة العظمى يندرج ضمن الفروض العينية[٧].■

الهوامش

(١) مالك بن نبي، فكرة كومنولث إسلامي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٩٠م، ص ٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٢ – ٤٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٨.

(٥) محمد الغزالي، الاستعمار أحقاد وأطماع، دار الكتب الإسلامية، ط٣، القاهرة ١٩٨٣م، ص ٢٥٧.

(٦) محمد الغزالي، أزمة الشورى في المجتمعات العربية والإسلامية، دار الشرق الأوسط للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٧٥ – ٧٦.

(٧) محمد الغزالي، قذائف الحق، دار المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، د. ت، ص ١٤٦.

سـلام أهـل غـزة

د. يوسف السند
إمام وخطيب بـــوزارة الأوقـــاف
والشؤون الإسلاميـــة بالكـــويت

﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ﴾ (البقرة: ٢١٤)، كرامةُ ثباتٍ في وجه الزلزال، عرفناها ورأيناها في أهل غزة، سلام على الصابرين المرابطين؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، «رِباطُ يَومٍ وليلةٍ في سَبيلِ اللهِ كصِيامِ شَهرٍ وقِيامِه، إنْ ماتَ جَرى عليه أجْرُ المُرابِطِ حتى يُبعَثَ، ويُؤمَنُ الفتَّان»، «عَينانِ لا تَمسَّهما النَّارُ: عينٌ بكت من خشيةِ اللهِ، وعينٌ باتت تحرسُ في سبيل اللهِ»، يحرسون في سبيل الله ويرابطون ويجاهدون، إذن متى ينامون؟!

سلام على المرابطين، سلام على مواكب الشهداء، أحياء يمشون ثم شهداء يُرزَقون، مواكب بشرية تحمل الجنائز مكبرين ومهللين ثم لم يلبثوا حتى غدوا كوكبة من الشهداء يُشيِّعون بالتكبير وكأن تكبيراتهم تبعتهم إلى قبورهم فهي تكبيرات إخوانهم لهم من بعدهم؛ ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (آل عمران).

ولا تظنن، أيها النبي، أن الذين قُتلوا في الجهاد في سبيل الله أموات، بل هم أحياء حياة خاصة عند ربهم في دار كرامته، يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، قد غمرتهم السعادة، وشملتهم الفرحة، بما مَنَّ الله عليهم من فضله، ويأملون وينتظرون أن يلحق بهم إخوانهم الذين بقوا في الدنيا، أنهم إن قتلوا في الجهاد فسينالون من الفضل مثلهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا[1].

سلام على أهل خندق غزة؛ جوعٌ وخوفٌ وظلام وجهاد ورباط؛ ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ (الأحزاب)، إنهم أهل الخندق، بل غزة تحولت إلى خنادقَ قوةٍ وعزةٍ تَشم منها بارود المدافع والبنادق

أهل خندق غزة يتحدون المنافقين والمخذلين والمرجفين والمثبطين؛ ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ (الأحزاب: ١٢)، ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٤٩).

سلام على أهل الثقة وأهل الثبات والتثبيت رغم البلاء؛ ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧)؛ يُثبِّتُ الله المؤمنين بكلمة التوحيد الثابتة إيماناً تاماً في الحياة الدنيا حتى يموتوا وهم على الإيمان، وفي البرزخ في قبورهم عند السؤال، ويثبتهم يوم القيامة، ويضل الله الظالمين بالشرك بالله والكفر به عن الصواب والرشد، ويفعل الله ما يشاء من إضلال من أراد إضلاله بعدله، ومن هداية من شاء بفضله، فلا مُكْرِه له سبحانه[2].

الكفوف بالكفوف.. فاشهدوا عهودنا
الثبات في الصفوف.. والمَضاء والفَنا
المئـــونَ والألـــــوف.. فديـــةٌ لديننا
وعلى شفا السيوف.. نستـــردّ مجدنا
بالكتـــــاب شرعـــةً.. والرســـول قُدوةً
واليقين عُدّةً[3]

سلام على أهل القرآن حين يُتلى من أهل غزة رغم الحطام والخراب والأشلاء والشهداء، رغم دوي صافرات الإسعاف وصراخ أهل المصابين والمسعفين واستغاثات الجرحى والمكلومين والمعذَّبين، رغم كل ذلك تجلسون تتلون كتاب الله مع من تبقّى من أهليكم وجيرانكم، ولسان حالكم:

بُنيَّ إذا ما رمت عزاً ورفعة
فإن كتـــاب الله يُعلي ويرفـــع
يُسوّد فيه الأتقيـاء كأنهم
نجوم لهم شأن عظيم وموقع
كتاب به عزَّ الوجود وأشرقت

على الكون شمسٌ للعدالة تسطع[٤]

سلام على التفاؤل الذي تعيشونه يا أهل غزة، هذا التفاؤل الذي أذهل البشر!

أنا لا أزال أشد قوسَ عقيدتي

وأهُزُّ رغـمَ المرجفـين لوائـي

وأُقلِّم الأشجـار عند يَباسِهـا

وأرُجُّ غَيْمي كي تَزُخَّ سمائي[٥]

لله دركم أهل القدس أصبحتم مدرسةً في العزم والهمة والاعتصام بكتاب الله!

كتابُ الله أطلقهـم فطـاروا

وطارت نحوهم عين وحـور

دماؤهم على الساحات مسك

ويمضي للعبير بك العبير

فنبت القدس ليس له نظير

وحاشا أن يكون له نظيـر

بماء الذكر يُسقى كل فجـر

وفي أحشائه تنمو البذور[٦]

سلام عليكم أهل القدس، لقد تألق الإسلام في أرضكم من جديد، لقد أينعت رياضه وابتسمت زهوره وأصبحت أرضه مُخضرَّة؛ فقويَ إيمانُ الناس، وصلُب عودُهم، ونضج فكرُهم، وعرفوا طريقَهم، وفهموا أن آلامهم هي الطريق نحو آمالهم؛ فكان لهذا البلاء نتاج وزرع؛ ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الفتح: ٢٩).

دماء الشهداء شلالات نور، تسطع في الليل الضرير، وللشهيد ابتسامة في وجه الردى يتحـدى الدنيا يبتغي لأمته المجـد والسـؤدد؛ ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ (يس: ٥٨).

اللهم اشملنا وأهل غزة والمسلمين أجمعين بهذا القول المبارك يوم نلقاك وأنت خير الراحمين.

اللهم انصر المجاهدين والمرابطين في فلسطين وفي كل مكان يا قويُّ ويا عزيز.

اللهم ارحم شهداءنا واخلفهم في أهليهم وذويهم وذرياتهم!

اللهم عجِّل لهم البشرى بجنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والحمد لله رب العالمين.■

الهوامش

(١) المختصـر في تفسـير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير.

(٢) المرجع السابق.

(٣) كتـاب أناشـيد أبـي مـازن، المنشد أبو مازن، المكتبة الشاملة.

(٤) إنما أنت بلسم، محمود مفلح.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

اليهود.. البداية والنهاية (8)
بنو إسرائيل.. بين الفتى يوشع والملك داود

الشيخ خالد آل عبد اللاه
داعيـــــة إسلامـــــي

مرت على بني إسرائيل حقبة من الزمن، هاجروا فيها من مصر، وتاهوا فيها أربعين عاماً، ومات فيها موسى، وهارون، ويوشع بن نون، ثم خلفهم رجل يقال له كالب بن يوفنا.

يقول ابن جرير: لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين أن القائم بأمور بني إسرائيل بعد يوشع بن نون هو كالب بن يوفنا، وهو أحد الرجلين من اللذين يخافون أنعم الله عليهما، ثم كان من بعدهم حزقيل بن بوذى، وهو الذي دعا الله فأحيا: ﴿الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ (البقرة: ٢٤٣)[1].

هل تثبت نبوة حزقيل؟

لم يثبت في نبوة حزقيل أثر صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكل ما نقل في كتب التاريخ وأهل التفسير إنما هو من الإسرائيليات.

عبادة الأصنام طبع أصيل:

ثم بعث الله نبيه إلياس إلى بني إسرائيل في فترة من الزمن، وكانوا يعبدون صنماً يقال له «بعل»، وكأن الشرك بالله وعبادة الأوثان غريزة فيهم، فبالأمس البعيد عبد أسلافهم العجل الذهبي من دون الله، فزجرهم هارون، وموسى، فلما جاوزوا البحر مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فطلبوا من موسى أن يتخذ لهم إلهاً صنماً؛ فأنكر عليهم موسى أشد الإنكار، وهذا ما فعله نبي الله إلياس حيث أنكر عليهم عبادة هذا الصنم؛ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝١٢٥ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الصافات)، وظل يدعوهم إلى عبادة الله وحده حتى لقي ربه.

فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون:

ثم بعث الله تعالى نبيه اليسع عليه السلام، قال الحسن: كان بعد إلياس اليسع، فمكث يدعوهم إلى عبادة الله وحده متمسكاً بمنهاج إلياس وشريعته حتى لحق بالرفيق الأعلى، ثم خلف فيهم الخلوف، وعظمت فيهم الأحداث والخطايا وكثرت الجبابرة حتى قتلوا الأنبياء[2].

وقتْلُ بني إسرائيل للأنبياء من أشنع فعالهم، وأسوأ أحوالهم، ومن أعظم أسباب غضب الله عليهم ووقوع الفساد فيهم، وقد تكرر في القرآن ذكر قتل بني إسرائيل للأنبياء بغير حق، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١١٢)، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة:٨٧).

ثم ولي الأمر بعدهم قضاة يحكمونهم بشرائع الأنبياء، وكان من شأنهم أنهم هزموا في معركة دامية مع الفلسطينيين، فسبَوا منهم نساءهم وأخرجوهم من ديارهم وسلبوا منهم تابوت العهد، وظلوا على تلك الحال من الذل والهوان حتى ذهب أشرافهم إلى قاضيهم صمويل يطلبون منه

أن يختار لهم ملكاً يجتمعون تحت رايته في قتال عدوهم الذين طالما أغاروا عليهم وساموهم سوء العذاب[٤].

شجاعة زائفة وجبن أصيل:

يقول عفيف طبارة: وكان صمويل يعرف حقيقة قومه ويعلم تخاذلهم في القتال، فسألهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُواْ﴾ (البقرة: ٢٤٦)، فأجابوه مؤكدين جديتهم في القتال مبررين له ذلك قائلين: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ (البقرة: ٢٤٦)، لكن الواقع كان على خلاف ما زعموا، فلقد حصل ما كان يتوقعه منهم من النكوص والجبن عن القتال، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٦)[٥].

نعم لقد انكشف الإسرائيليون على حقيقتهم في هذا الموقف، فطالما عاهدوا ونقضوا، ولطالما واعدوا وأخلفوا، فما وفّى اليهود بعهد قط، فهم أحقر وأجبن من أن يَصْدُقوا فيما عاهدوا أحداً عليه، فعلى الرغم من أنهم قد هُزموا وأخرجوا من ديارهم وأُسِرت نساؤهم وأبناؤهم، فإنهم جبنوا عن تحرير أسراهم وتولوا عن قتال عدوهم إلا قلة قليلة منهم، وهذا ليس بغريب عنهم فأجدادهم هم الذين تخلوا عن القتال مع موسى حين قالوا له: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤).

قوم متخصصون في المراوغة:

أخبر صمويل قومه أن الله تعالى قد استجاب لرغبتهم واختار لهم طالوت ملكاً عليهم يقودهم في القتال، وهنا اعترضوا على اختيار الله لطالوت بحجة أنه رجل فقير ومن عامة الشعب لا من الصفوة، وهي حجج واهية، وحيل مفضوحة من قوم متخصصين في التحايل والمراوغة.

يقول د. صلاح الخالدي: اليهود يتحايلون أولاً على أوامر الله، فإن عجزوا عن التحايل وألزموا بالتنفيذ والأداء، فإنهم يستخدمون أسلوباً آخر ليس أقل سوءاً من التحايل، إنها المراوغة والتلكؤ، ثم قال: وإن قصة سورة «البقرة» مثال واضح لمراوغة اليهود، ودليل بارز على تمكن هذا الخلق البغيض من نفوسهم، فأول مراوغة حين اتهموا نبيهم بأنه يستهزئ بهم وهو الذي يبلغهم ما أمرهم الله بفعله، وثاني مراوغة حين طلبوا

قتْلُ بني إسرائيل للأنبياء من أشنع فعالهم وأعظم أسباب غضب الله عليهم ووقوع الفساد فيهم

بنو إسرائيل اعترضوا على اختيار الله لطالوت ملكاً عليهم متعللين بفقره وقلة وجاهته

أن يبين لهم البقرة المطلوبة، وثالث مراوغة حين طلبوا بيان لون البقرة، ورابع مراوغة حين زعموا تشابه البقر عليهم، وبعد كل هذه التحديدات والمراوغات قال الله عنهم: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: ٧١)[٦].

لقد اعترضت بنو إسرائيل على اختيار الله لطالوت ملكاً عليهم متعللين بفقره وقلة وجاهته، فأخبرهم قائلاً: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٤٧)، ثم أخبرهم أن علامة ملك طالوت أنه سيقودهم إلى النصر، وأن الملائكة ستأتيهم بالتابوت الذي سُلب منهم.

وبعد كل هذه الحيل والمراوغات قبلت بنو إسرائيل مُلْك طالوت وقيادَته عليهم، فلما دعاهم إلى الجهاد ضد جالوت المتجبر وجيشه الجرار تجمع تحت لوائه منهم خلق كثير.

سار طالوت بجشيه من بني إسرائيل وأراد أن يختبر صدقهم وصبرهم وشجاعتهم في الحرب، إلا أنه فوجئ بعكس ما كان يتمنى، حيث ظهر منهم ما يكرهه كل قائد ومسؤول، من مخالفة الأوامر، والجبن عند ملاقاة الأعداء.

الأول: عندما مروا على النهر وقد أصابهم العطش، حيث خالفوا أوامر الله وأوامر قائدهم بمجرد رؤية الماء، فرسب أكثرهم في هذا الاختبار؛ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

الثاني: أنه لما توجه بالقلة المؤمنة المتبقية من جيشه تلقاء أرض المعركة، وظهر لهم جالوت بجيشه الجرار، بدا عليهم الخوف وبرز الجبن الملازم لهم والكامن في نفوسهم، فقالوا لطالوت: ﴿لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ (البقرة: ٢٤٩)، وما أشبه الليلة بالبارحة! وما أشبه موقفهم هذا بموقف أجدادهم مع نبي الله موسى عندما كانوا على مشارف الأرض المقدسة، وقد دعاهم موسى إلى دخولها فقالوا: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ (المائدة: ٢٢)! وكأنهم من جبنهم وشدة مذلتهم يريدون فتحاً دون عناء، ونصراً دون ملاقاة الأعداء.

يقول د. صلاح الخالدي: ولولا بقية من إيمان ورجولة وثبات عند بعض اليهود زمن طالوت، لهزم جيش طالوت وانتصر خصمه جالوت، لكن القلة القليلة هذه هي التي أنقذت الموقف، وهي دائماً التي ترفع الراية وتقود للنصر، فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة[٧].

داود يتولى ملك بني إسرائيل:

يقول د. الطيب النجار: سمع داود، طالوت يحرّض بني إسرائيل على قتال جالوت وجيشه، وهو يقول: من قتل جالوت زوجته ابنتي وأشركته في ملكي، وكان داود رامياً، فلما كانت الحرب وضع حجراً في المقلاع ورمى به جالوت ففلق رأسه، ثم أجهز عليه بسيفه، ففر جيشه منهزماً، فوفَّى طالوت بوعده لداود فزوّجه ابنته، وقلده الحكم[٨].

نرى في مقالنا القادم، بإذن الله، كيف كان حال اليهود زمان داود، وسليمان، عليهما وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام.■

الهوامش

(١) تاريخ الطبري (١/ ٤٦٠)، أقول: لا يوجد دليل صحيح على نبوة حزقيل إلا ما أورده أهل التفسير والأخبار، ولعلها من الإسرائيليات التي لا يمكن القطع بشيء منها، قال ابن عطية: وهذا القصص كله لين الأسانيد.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير.

(٣) قصص الأنبياء، محمود المصري.

(٤) تاريخ الأنبياء، محمد الطيب النجار.

(٥) مع الأنبياء، عفيف طباره.

(٦) الشخصية اليهودية، صلاح الخالدي.

(٧) المرجع السابق.

(٨) تاريخ الأنبياء، محمد الطيب النجار.

الإفتاء في الزمن الرقمي

الفتوى في الزمن الرقمي تفرض على المفتـي أن يكـون مدركـاً بعمـق لطبيعـة الوسيـط الرقمي

مصطفـى عاشـور
كاتـب مهتـم بالشـأن الثقـافي

تغلغلت التكنولوجيا الرقمية في كافة الأنشطة الإنسانية، بما في ذلك المجال الديني، وتكمن أهمية هذا المجال في قدرته على مخاطبة وتوجيه عشرات الملايين والتأثير في اعتقادهم وسلوكياتهم، وفي ظل قدرة الرقمية على الوصول للملايين، تأتي أهمية ضبط هذا المجال، حتى لا يُنتج التلاقي بين الرقمية والرؤى الدينية أزمات، ويكون من مسببات ومغذيات إنتاج العنف والكراهية والعنصرية.

الرقمية، ليست انتقالاً لاستخدام وسيط جديد في الإفتاء، مثل الصحافة أو الراديو أو التلفزيون، ولكن الفتوى في الزمن الرقمي ذات اتساع كبير، فهي لا تتقيد بجغرافيا، بل قادرة على الوصول والتأثير في أعداد ضخمة، ومن الصعب قمعها أو إلجامها بضوابط وقيود.

وإذا أدركنا أن هناك ٥,٥٣ مليارات مستخدم للإنترنت عالمياً، وحولي ٥,٠٤ مليارات مستخدم لمواقع التواصل، فإن الفتوى ذات خطورة في تشكيل الصورة الذهنية عالمياً عن الدين، فقد تفتح باعتدالها وقدرتها على مخاطبة الإنسان الآفاق أمام الدين، وإما أن تبني صورة ذهنية سلبية أو معادية للدين، هذا التحدي الذي تواجهه الفتوى في الزمن الرقمي تفرض على المفتي أن يكون مدركاً بعمق لطبيعة الوسيط الرقمي، وطبيعة حركة الدين في هذا الفضاء؛ لأن الجهل بخطورة وتأثير الوسيط الرقمي قد يشوّه صورة الدين، والفتوى الخاطئة قد تغلق قلوب الملايين، ويفرض ذلك على المفتي التريث والتعمق في فتواه، لأن الوسيط الرقمي لا ينسى ما يبث عليه.

وقد دار نقاش فقهي حول مسألة ضبط الفتوى، وأحقية السلطة في التدخل لضبط هذا المجال، ووصل الأمر للحجر على بعض المفتين مثل «المفتي الماجن»، وشكلت السيولة والفوضى في الإفتاء خطوة على الدين ذاته، مثل فتوى «إرضاع الكبير» التي ظهرت عام ٢٠٠٧م، ورغم الدور العلماني في إخراجها عن مضمونها واستغلالها لتشويه الدين، فإن هناك ضرورة في أن يستند الإفتاء إلى مؤسسة خاصة في القضايا العامة والمتخصصة، وأن يكون إفتاء جماعياً تساهم فيه عدة تخصصات.

مركز الأزهر العالمي للفتوى

من التجارب الإفتائية في الفضاء الرقمي مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية، الذي أُنشئ بقرار من شيخ الأزهر د. أحمد الطيب، في نوفمبر ٢٠١٦م، بهدف إصدار الفتوى الشرعية، ونشر الدين الصحيح، ومقاومة الفكر والفتاوى المتطرفة بأكثر من لغة.

ففي عام ٢٠٢٣م فقط، قام المركز بالرد على أكثر من ١,٧ مليون فتوى هاتفية ونصية وميدانية وبحثية وإعلامية وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، في شتى مناحي الحياة، إلا أن ميزة المركز أنه كان أكثر اشتباكاً مع القضايا الحياتية للإنسان المسلم، ومحاولة تقديم حلول ورؤى شرعية بشأنها، ومن ذلك تأسيس «بنك فتاوى الأزهر الإلكتروني»، في ديسمبر ٢٠١٩م، وجاء الإنشاء في ظل أزمة «كورونا»، وسعى المركز لإرشاد الناس إبان الوباء والإغلاق، خاصة مع منع الصلاة في المساجد، بما فيها صلاة الجمعة، وأصدر المركز دليلاً حوى ١٠ آلاف فتوى، غطت كافة التساؤلات.

وأنشأ وحدة «بيان» لمواجهة الفكر الإلحادي وتقديم الدعم النفسي لتلك

«الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية» يصدر الفتاوى الشرعية ويقاوم الفكر المتطرف بأكثر من لغة

«المؤشر العالمي للفتوى» يقوم برصد الفتاوى بشقيها الرسمي وغير الرسمي في ٤٠ دولة

النفوس القلقة، وزادت مشاركات المركز الإعلامية المسموعة والمرئية والإلكترونية خلال عام ٢٠٢٣م عن ٢١ ألفاً، كما نشر المركز أكثر من ١٨ ألف محتوى فقهي ودعوي وتصحيح للمفاهيم على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، ومن تلك المشاريع: «حكاية كتاب»، «قدوة»، «قرة عين»، «رسائل»، «فقهيات»، «توعية أسرية»، «بيان»، «جوامع الكلام»، «مفاهيم»، «هذا هدى».

لم يكتف المركز بتلقي الأسئلة والشبهات والرد عليها، ولكن قام بخطوة استباقية في تتبع الفتاوى المتشددة والشبهات، والظواهر والتقارير الإعلامية، وزاد مجموعها على ٢٧ ألفاً، وقام الفريق بأكثر من ١٥٠ بثاً حياً للرد على أسئلة المتابعين بصورة مباشرة، كما عقد المركز أكثر من ٤٦٠ ورشة تدريبية ودورات علمية وتثقيفية لرفع كفاءة فريق العمل، إضافة إلى تقديم أكثر من ٣٧ ألف بحث ومراجعة ومتابعة علمية.

وانتقل المركز من العالم الافتراضي إلى الواقع في وحدة «لم الشمل» التي تعاملت مع ١١١ ألف حالة نزاع أسري، لتؤثر خدماتها ودورها في مليوني شخص استفادوا من دورها، وقام بلقاءات توعوية أسرية ومجتمعية طافت الجمهورية زادت على ٩٣ ألفاً بين ندوة وورش عمل وفعالية، استفاد منه قرابة ٧ ملايين مواطن في الفترة من عام ٢٠١٨ حتى ٢٠٢٣م.

وبلغ عدد الاستشارات الأسرية التي قدمها المركز أكثر من نصف مليون استشارة خلال عام ٢٠٢٣م، من خلال قنوات التواصل الإلكترونية واللقاءات الميدانية للمقبلين على الزواج أو المتزوجين بالفعل، بهدف الحفاظ على كيان الأسرة من التفكك.

المؤشر العالمي الفتوى

المؤشر العالمي للفتوى (GFI)، التابع لدار الإفتاء المصرية، تم تأسيسه عام ٢٠١٧م، من باحثين شرعيين ومتخصصين في فروع العلم المختلفة، كسبيل لاستشراف مستقبل التيارات الإسلامية، وانقسم فريق العمل إلى ٣ أقسام، جمعت بين الرصد والتحليل، للوقوف على مواطن الخلل في الفكر المتطرف، والوصول إلى منابعه وكيفية استخراجه لفتاويه.

المؤشر يرصد الفتوى، بشقيها الرسمي وغير الرسمي في ٤٠ دولة، محدداً الخريطة الإفتائية لكل دولة على حدة؛ بقصد الكشف عن تأثير الفتوى في المجتمعات والأحداث الجارية، ورصد التوظيف السياسي للفتوى، والمؤشر يعتمد على ما تصدره ٥٠٠ مؤسسة إفتاء رسمية عربية وغير عربية، إضافة إلى ١٥٠٠ موقع إلكتروني يقدم خدمة الفتوى، وكذلك ١٠٠ قناة تلفزيونية وفضائية، وصنف الفتوى إلى ٣٠ تصنيفاً، لتحديد مجالاتها وطبيعة اهتمام الأماكن الجغرافية بفتاوى معينة، وبذلك نجح المؤشر في بناء تصور عام عن الفتوى في العالم الإسلامي في السنوات الأخيرة، فيما يشبه المسح شبه الشامل للفتاوى.

وفي تقرير للمؤشر، رصد حصاد ٤ سنوات من العمل (٢٠١٨ - ٢٠٢١م)، رصد الفتوى في ٢٤ دولة، معتمداً على مليونين و٦٠٠ ألف فتوى، وقد صدر في ٣ كتب، يقترب مجموعها من ٦٠٠ صفحة، وتم إتاحتها لصناع القرار والباحثين المتخصصين.

وفي عام ٢٠٢٣م، أعلن المؤشر العالمي للفتوى عن إصداره تقريره السنوي، في ٢٠٠ صفحة، راصداً ١٥ ألف فتوى من ٢٣ دولة، وكشف عن التحديات التي تواجه الفتوى، وفي مقدمتها الذكاء الاصطناعي.

ولاحظ المؤشر وجود اهتمام إفتائي بقضايا الذكاء الاصطناعي، فرصد حوالي ٣ آلاف فتوى، استحوذ الذكاء الاصطناعي على ١٣% منها، وأن ٨٥% من الفتوى اتفقت على جواز ومشروعية التعامل مع الذكاء الاصطناعي، في حين ذهبت ١٥% من الفتوى بتحريم التعامل مع الذكاء الاصطناعي.

ويلاحظ أن الذكاء الاصطناعي يمثل تحدياً للإنسان، ولأهل الأديان بصفة خاصة، ففي عام ٢٠٢٠م وقع بابا الفاتيكان فرنسيس على ميثاق روما لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، هذا التوجه الديني لضبط السلوك في مجال الذكاء الاصطناعي يعد عالمياً؛ وهو ما يعني وجود مساحات مشتركة بين الفتوى في المجال الإسلامي وأهل الأديان الأخرى، يمكن أن تستفيد منه الفتوى لطرح قضايا الانشغال الإنساني على بساط الفهم الإفتائي الإسلامي.■

يعتقد كثير من الناس أن المسلمين بدأ تواجدهم في أوروبا كمهاجرين في القرن العشرين، ويُظهر العديد من المؤرخين المحترفين والسياسيين والإعلاميين في أوروبا، وليس المواطن العادي فقط، استياءهم إذا قلنا: إن الوجود الإسلامي قائم في أوروبا منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، من منتصف القرن السابع الميلادي، فماذا يذكر التاريخ؟

المسلمون جزء أصيل ومؤثر من النسيج الأوروبي..
التاريخ المنسيّ لمسلمي أوروبا الأصليين الأوائل

د. أحمد عيسى
دكتوراة في العقيدة وأصول الدين

يسجل التاريخ أن المسلمين كانوا في كثير من مناطق أوروبا من سكانها الأصليين، الذين دخلوا الإسلام طواعية، غالباً قبل دخول الأوروبيين في المسيحية، ومصدر الدينيين من خارج أوروبا، فمثلاً دخلت المسيحية روسيا والقرم لما اعتنقها أمير كييف فلاديمير الأول عام ٩٨٨م وكانوا يعبدون القوى الطبيعية.

كانت أولى الدول الإسلامية الأوروبية إمارة في جنوب القوقاز، في منتصف القرن السابع الميلادي، ثم في جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس)، في بداية القرن الثامن الميلادي، ولكن مناهج التعليم ووسائل الإعلام في أوروبا تتجاهل هذه الحقائق فتحذفها أو تذكرها عرضاً.

وقد شملت هذه الدول، في فترات الحكم (المباشر وغير المباشر) في شمال أوروبا أراضي واسعة من روسيا، بما فيها موسكو، وفي الجنوب شملت جنوب فرنسا، وجنوب إيطاليا، وجنوب سويسرا، وكذلك جميع جزر البحر المتوسط الكبرى من قبرص ورودس وكريت ومالطا وصقلية وسردينيا وكورسيكا، ومايوركا، وكل البلقان وهنغاريا (المجر) وضواحي فيينا[١].

- القوقاز:

القوقاز تقع بين بحر قزوين شرقاً والبحر الأسود غرباً، ويعود قيام أول دولة إسلامية على الأرض الأوروبية إلى عام ٦٥٣م، عندما تأسست إمارة إسلامية في منطقة جنوب القوقاز، وقد سبق قيام تلك الإمارة أول قدوم منظَّم للمسلمين إلى أوروبا في عام ٦٤١م لما سيطر الصحابي عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي على أجزاء تقع جنوب القوقاز، وبحسب شهادته، فإنه التقى عند وصوله بجالية مسلمة تقيم هناك[٢].

وطبقاً للمؤرخين المسلمين، استمرت الفتوحات ١٠ سنوات بين ٢٢ - ٣٢هـ/ ٦٤٢ - ٦٥٢م، وذكر ابن كثير أن الباهلي سار في بلاد بلنجر (القوقاز) ٢٠٠ فرسخ[٣]، وقال الطبري: «فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر لم تئم فيها امرأة، ولم ييتم فيها صبي، وبلغ خيله مائتي فرسخ من بلنجر»[٤].

قيام أول دولة إسلامية على الأرض الأوروبية عام ٦٥٣م عندما تأسست إمارة إسلامية بجنوب القوقاز

وطبقاً لذلك، فإن الباهلي توغل شمالاً مسافة ٩٥٠ كيلومتراً، وهذا يعني بلوغ قوات الفتح الإسلامي إقليم فولغوغراد، وسط جنوب روسيا اليوم.

وقامت الفتوحات الثانية بين عامي ٧٢٢ و٧٣٧م، وانتهت بهزيمة الخزر (بين مصب نهري الفولغا والدون) على يد مروان بن محمد (عهد هشام بن عبدالملك)، ورغم انتصارهم، لم يتمكن المسلمون من القضاء على مملكة الخزر[٥].

والدارسون لأوروبا الشرقية يعرفون أن الإسلام قد بدأ يتغلغل في مملكة الخزر من القرن الثامن الميلادي؛ وفي بداية القرن الحادي عشر أصبح الدين الذي يعتنقه أكبر عدد من الناس، وإن لم يكن صاحب النفوذ السياسي، ويعرفون أن الإسلام في مملكة فولغا بلغاريا في روسيا، انتشر في نهاية القرن التاسع، والنصف الأول من القرن العاشر، وأصبح وطيد الأركان[٦].

يقول مفتي روسيا: «تم إعلان الإسلام دين الدولة في فولغا بلغاريا عام ٩٢٢م؛ أي قبل ٦٦ عاماً من اعتماد المسيحية الأرثوذكسية ديناً رسمياً لروس كييف»، وقال: «الإسلام وصل إلى روسيا في القرن السابع الميلادي، فقد جاء أتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى مدينة تعرف حالياً باسم ديربنت، وهي جنوبي داغستان، وتم رفع أول أذان فيها»[٧].

- الأندلس:

أسست الدولة الإسلامية على التراب الأوروبي في إسبانيا، قبل قيام دولة الملك شارلمان المسيحية، بمرسوم باباوي، بنصف قرن، فقامت دولة الأندلس الإسلامية -وعاصمتها قرطبة بإمارة عبدالرحمن بن معاوية الأموي- عام ٧٥٦م، وكان بداية الفتح عام ٩٢هـ/ ٧١١م، وبحلول عام ٧٢٠م صار معظم إسبانيا تحت سيطرة المسلمين.

والمعطيات التاريخية تؤكد تهافت وسقوط الادعاء القائل بأن أوروبا قارة اليهودية-المسيحية المحضة، فالجزء الأكبر من أوروبا (كل إسكندنافيا، التي بدأ تحولها من الوثنية للمسيحية متأخراً في القرنين العاشر والحادي عشر، وشمال ووسط وشرق أوروبا وروسيا وأوكرانيا) ظل وثنياً لقرون عديدة، بعد تقبل مناطق أوروبية واسعة الإسلام، وتأسيس عدد من الدول الإسلامية في أوروبا، وكانت الأندلس أكثر الدول الأوروبية نمواً اقتصادياً وثقافياً، والأقوى عسكرياً[٨].

- القرم:

تمتد شبه جزيرة القرم على البحر الأسود، وصل الإسلام إليها عن طريق التتار، في عهد القبيلة الذهبية أو مغول الشمال، أول قبائلهم اعتناقاً للإسلام، يرجع نسبهم إلى جوتشي الابن الأكبر لجنكيز خان، ولما مات جوتشي أقطع أبوه لحفيده (باتو) بلاد روسيا وخوارزم والقوقاز وبلغاريا، وسّع باتو أراضيه واستولى على مدينة كييف عام ١٢٤٠م، وفي ذروة توسعها امتدت أراضي القبيلة من جبال الكاربات بأوروبا الشرقية (بين

أسست الدولة الإسلامية على التراب الأوروبي بإسبانيا قبل قيام دولة الملك شارلمان المسيحية بنصف قرن

التشيك وبولندا وسلوفاكيا والمجر) إلى سهول سيبيريا، وأتم بركة خان (شقيق باتو) بناء عاصمته مدينة ساراي على نهر الفولغا بالقسم الأوروبي (مدينة ساراتوف في روسيا)، وبنى بها المساجد والمدارس الإسلامية وجلب لها الفقهاء وجعلها أكبر مدن العالم، وصفها ابن بطوطة: «من أحسن المدن، عظيمة الأسواق مبنية على نهر إتل (الفولغا)»[٩].

وعندما وصل التتار جذبوا من كان فيها من الإغريق والإيطاليين للإسلام، ودعوا إليه جيرانهم، ثم استقلت دولة القرم تحت حكم كيراي (١٤٢٧م)، ومدت نفوذها، وبلغ من قوتها أنّ إمارة موسكو كانت تدفع للسلطان محمد كيراي جزية سنوية، ثم خضعت موسكو لحكمه عام ١٥٧١م[١٠].

- صقلية:

دخل المسلمون لأول مرة أرض جزيرة صقلية أكبر جزر البحر المتوسط عام ٦٥٢م، وبعد محاصرة طويلة عام ٨٣١م دخل المسلمون العاصمة باليرمو، وبانتقال صقلية لحكم سلالة الكلبي عام ٩٤٨م، بلغت صقلية أَوجها فرفعت الأنشطة المعمارية والثقافية والتجارية الملموسة من نوعية الحياة والازدهار إلى مستويات لم تكن متخيلة، شهد بذلك مؤرخ معاصر لتلك الحقبة: «باليرمو حقاً واحدة من المدن الأكثر تقدماً والأكبر في أوروبا، مع أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة، و٣٠٠ مسجد، إنها العاصمة الحقيقية للعالم الإسلامي في أوروبا»[١١].

- البلقان:

شبه جزيرة البلقان، منطقة ثقافية وجغرافية تُعرف بجنوب شرق أوروبا، تقع في شرق إيطاليا، وشمال غرب الأناضول، ويعود تاريخ تأثير الإسلام ووجوده الفاعل فيها إلى النصف الثاني من القرن السابع الميلادي -على النقيض من المزاعم المعتادة والخاطئة بجهل وتجاهل، التي تقول: إن الإسلام لم يأتِ إلى شبه جزيرة البلقان إلا في وقت مجيء العثمانيين- فتُثبت الدراسات الحديثة على نحو لا لبس فيه، أن الإسلام قد امتدت جذوره في البلقان قبل وصول العثمانيين، وخلال هذه الفترة، استقر المسلمون على ساحل تراقيا الجنوبية (تتقاسمها بلغاريا، اليونان، وتركيا)، وفي خليج سالونيك (في اليونان)، وعلى ساحل ألبانيا الشرقي، وفي أجزاء مما يشكل كرواتيا حالياً.

وبتقدم الدولة العثمانية، خلال القرون الثالث عشر إلى الخامس عشر، تواصلت هذه الفئات المسلمة فيما بينها بقوة، وتطورت سياسياً واقتصادياً إلى مراكز حضرية وإدارية للثقافة الإسلامية، وفي عهد السلطان سليم الثاني (١٥٢٤ -١٥٧٤م)، سُجل ازدياد كبير في عدد السكان المسلمين، من خلال القبول الجماعي الطوعي للإسلام من السكان الأصليين، في بلغاريا ورومانيا واليونان، وجميع الجزر الكبيرة، وألبانيا، والبوسنة، وصربيا، وأجزاء من كرواتيا، وسلوفينيا، وبالتالي أقيمت الأسس السكانية لتواجد المسلمين الأصليين في هذا الجزء من أوروبا اليوم[١٢].

عندما نأخذ في الاعتبار أن وجود المسلمين بثقافتهم ودينهم في جميع أنحاء هذه المناطق المذكورة كان يشكِّل باستمرار واحداً من أهم عناصر هويتها، يصبح من الواضح أن الواقع السكاني- الجغرافي والتكوين العِرقي والديني والأخلاقي والتقدم العلمي والتخطيط السياسي والاقتصادي والعسكري في أوروبا لا يمكن فصله على الإطلاق عن العناصر الإسلامية، وأن المسلمين كانوا ولا يزالون جزءاً أصيلاً ومؤثراً ومهماً من النسيج الأوروبي، وإن تناس الناس فالتاريخ لا ينسى!■

وصل الإسلام إلى شبه جزيرة القرم عن طريق التتار بعهد القبيلة الذهبية أول قبائلهم اعتناقاً للإسلام

دخل المسلمون لأول مرة أرض جزيرة صقلية أكبر جزر البحر المتوسط عام ٦٥٢م وبها أكبر مدن أوروبا

يعود تاريخ تأثير الإسلام ووجوده الفاعل بمنطقة البلقان إلى النصف الثاني من القرن السابع الميلادي

الهوامش

(١) فريد موهيتش، المكونات الإسلامية لهوية أوروبا، بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠١٦، ص٢٧٥.

(٢) Haverić, History of the Muslim Discovery of the World, Deakin University، ٢٠١٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، القاهرة: مطبعة السعادة، ج٧، ص١٢٣.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، دار المعارف، ١٩٦٧، ج٤، ص١٥٨.

(٥) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٣، ص٤١٠.

(٦) سرطاوي، الإسلام في أوروبا الشرقية في أمسية الغزو المنغولي، مجلة الرسالة، العدد ٩٦٩، ص١٤.

(٧) إلينا تيسلوفا، «مفتي روسيا: لدينا ٢٥ مليون مسلم يتعايشون مع بقية أطياف المجتمع»، وكالة الأناضول، ١١ مارس ٢٠١٨م.

(٨) موهيتش، ص٢٠.

(٩) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ، ج٢، ص٢٤٠.

(١٠) Encyclopedia Britannica, ""Golden Horde", 6 Dec. 2023.

(١١) Lewis, The Arabs in History, Oxford University Press، ٢٠٠٢: ٩٤-٩٥.

(١٢) موهيتش، ص٢٧٥.

الأسس النفسية للتأثير الدعوي (10)

تقدير مشاعر المدعوين

د. رمضان أبوعلي
أستاذ جامعي- دكتوراة في الدعوة الإسلامية

هذا هو المقال التاسع من سلسلة «الأسس النفسية للتأثير الدعوي»، بعنوان «تقدير مشاعر المدعوين»، ويقصد به أن يدرك الداعية مشاعر المدعوين، ويحسن تقديرها، والاتصال بها في المجال الدعوي.

التأصيل الشرعي:

لقد حرص الإسلام على تقدير مشاعر الناس، فأمر بحسن مخاطبتهم، حيث قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٥٣)، كما حثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تقدير مشاعر الناس بإنزالهم منازلهم، وحفظ مقاماتهم، فقال: «أنزلوا الناس منازلهم»[١]، بل إنه صلى الله عليه وسلم كان يقدّر مشاعر الأم التي يبكي وليدها وهي في الصلاة، فيقول: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجْد أمه من بكائه»[٢]، وفي هذا دليل على دعوة الإسلام إلى تقدير مشاعر الناس، وحسن التعامل معها.

التوظيف النفسي:

تعتبر القدرة على إدراك مشاعر المدعوين وتقديرها من الوسائل الفاعلة في إحسان التواصل معهم، حيث أكدت الدراسات النفسية أن القدرة الفائقة على استيعاب مشاعر المخاطبين وتحسس تمتمات نفوسهم وهمسات وجدانهم تدفعهم إلى الاستجابة والانقياد[٣]، فمن حرص على معرفة مشاعر مدعويه وتفاعل معها وأظهر تقديره لها؛ فإنه يدخل إلى قلوبهم ويستطيع أن يستميلهم ويقنعهم بعد ذلك بما يشاء.

التوظيف الدعوي:

يسهم تقدير مشاعر الناس في تحقيق التأثير الدعوي، فهو يعمل على إيجاد الألفة والمودة، وزيادة القرب والمحبة، وقبول

الدراسات النفسية تؤكد أن استيعاب مشاعر المخاطَبين تدفعهم إلى الانقياد

الإسلام يربي دعاته على تقدير مشاعر الناس من أجل بناء الألفة وتحقيق الاستجابة

الحرص على تقدير مشاعر الفقراء عند أخذ صدقاتهم والنهي عن أذيتهم

التواصل وتحقيق الاستجابة، وقد تعددت المواقف الدعوية التي تدل على ذلك، ومنها

أولاً: التهنئة في المناسبات السعيدة والتعزية عند المصيبة: تعبر التهنئة والتعزية عن المشاركة الوجدانية التي تجعل الإنسان يشارك غيره في مشاعره، فيفرح لفرحه ويحزن لحزنه، ومن الأمثلة على التهنئة ما ورد في قصة توبة الصحابي الجليل كعب بن مالك، بعد أن تخلف عن غزوة «تبوك»، يقول كعب: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ لَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ[٤].

وفي التعزية يتحدث المرء عن التعويض الإلهي الذي يشرح صدره ويخفف ألمه ويُذهب همه، ويدل على هذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم حين لقي جابر بن عبدالله بن حرام الأنصاري بعد استشهاد أبيه، فقال له: «مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟»، قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْناً، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟»، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَداً قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحاً، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ..»[٥]؛ وفي هذا دعوة إلى تقدير مشاعر المصاب من خلال تعزيته والتحدث معه بما يخفف عنه.

ثانياً: تقديم النصيحة سراً لا جهراً وتلميحاً لا تصريحاً: فقد كان رسول الله إذا بلغه عن الرجل شيء يقول: «ما بال أقوام..»، ولا يقول: ما بال الرجل يفعل كذا وكذا؛ لأنه يراعي مشاعر الإنسان الذي يقدم له النصيحة، فيجعلها عامة لا خاصة.

ثالثاً: توقير الكبير: وذلك من خلال تقديره واحترامه، والوفاء بحقه، فإن هذا من الإيمان، حيث جاء شيخ يريد النبي صلى الله عليه وسلم، فأبطأ القوم أن يوسعوا له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»[٦].

رابعاً: مناداة الناس بأحب الأسماء إليهم: فقد يطلق البعض على غيرهم أسماء وألقاباً يكرهونها، فيجب ألا نناديهم بها، بل نخاطبهم بما يحبون من الأسماء، فإن هذا يضمن صفاء الود بين الناس، وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تغيير أسماء بعض أصحابه، حيث غيّر اسم العاصي إلى مطيع، وعاصية إلى جميلة، وقليل إلى كثير، وأسود إلى أبيض، وحزن إلى سهل، وحرب إلى سلام..[٧]؛ وذلك لما تحمله دلالات الأسماء من آثار في نفوس أصحابها، وقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم على تقديرها ومراعاتها.

خامساً: مراعاة مشاعر السائلين: فقد حرص الإسلام على تقدير مشاعر الفقراء عند أخذ صدقاتهم، فنهى عن أذيتهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: ١٠)، وقال: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ (البقرة: ٢٦٤)، فمن تعمد أذية الفقير بطلت صدقته، وفي هذا مراعاة لمشاعر الفقراء.

سادساً: التلطف في رد السائل غير المستحق: فإذا كان السائل لا يستحق العطاء فإن المسلم يرُده بكلمة طيبة، فقد أتى رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم الصدقة، فسألاه منها، فرفع فيهما البصرَ وخفضه، فرآهما جَلْدين، (أقوياء)، فقال: إن شئتما أعطيتُكما، ولا حظَّ فيها لغني، ولا لقوي مُكتَسِب[٨]، وهذا رد لطيف يحفظ مشاعر الناس.

ومما يدل على ذلك أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ

فَقَالَ: ادْعُ اللَّه أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّه، ادْعُ اللَّه أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عكاشة»[٩]؛ وسبب ذلك أن الرجل الثاني لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة ولا كان بصفة أهلها، بل كان منافقاً، فأجابه النبي صلى اللّه عليه وسلم بكلام محتمل ولم يصرح له بأنه ليس منهم[١٠].

سابعاً: عدم التحدث سراً بين اثنين في وجود الثالث: فقد قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: «إذا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَ اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فإن ذلك يحزنه»[١١]، ويدخل في هذا النهي عن كل صورة تؤدي إلى عدم مراعاة شعور الثالث، مثل التحدث بلغة لا يفهمها، فإن هذا يحزنه، وقد حرص الإسلام على تقدير مشاعره.

ثامناً: النهي عن الجهر بالسوء من القول: لقد نهى الإسلام عن انتشار السيئ من القول، لأنه يخدش حياء الناس، ويجرح مشاعرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ (النساء: ١٤٨)، كما حرّم السب والقذف على الإطلاق؛ تقديراً لمشاعر الناس وحماية لهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨)، بل إن الإسلام حرّم سبّ الأموات، لأنه يؤدي إلى أذى الأحياء، فقد قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ»[١٢].

فهذه بعض التوجيهات التي تدل على دور تقدير مشاعر الناس في تحقيق التأثير والاستجابة الدعوية.

الدليل على التأثير الناجح:

لقد حرص النبي صلى اللّه عليه وسلم على تقدير مشاعر الناس وحفظ مقاماتهم، مما كان له الأثر الطيب في تحقيق التأثير الدعوي، ويدل على ذلك ما كان منه عندما أرسل رسائله إلى الملوك والأمراء، حيث كان يكتب فيها: «من محمد رسول اللّه إلى هرقل عظيم الروم»، وفي رسالته إلى كسرى، قال: «إلى عظيم فارس»، وفي رسالته إلى المقوقس، قال: «إلى عظيم القبط»، وفي رسالته إلى النجاشي، قال: «إلى ملك الحبشة»، وقد أسلم النجاشي بعدها، وأحسن الرد عليها[١٣].

بل إن الإسلام دعانا إلى مزيد من السمو والرفعة في تقدير مشاعر الناس، حيث ذكر القرآن الكريم موقف سيدنا يوسف عليه السلام مع إخوته بعد أن آذوه وجاؤوا إليه في مصر، فلم يؤذهم أو يذكّرهم بما فعلوه معه، بل قال لهم: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ (يوسف: ١٠٠)، فلم يقل: أخرجني من البئر، حتى لا يجرح مشاعر إخوته، وهم الذين ألقوه فيه قبل ذلك.

والخلاصة أن الإسلام يربي دعاته على الاعتراف بمشاعر الناس وتقديرها عند مخاطبتهم، من أجل بناء الألفة والمودة وتحقيق القبول والاستجابة.■

النبي حرص على تقدير مشاعر الناس وحفظ مقاماتهم لتحقيق التأثير الدعوي

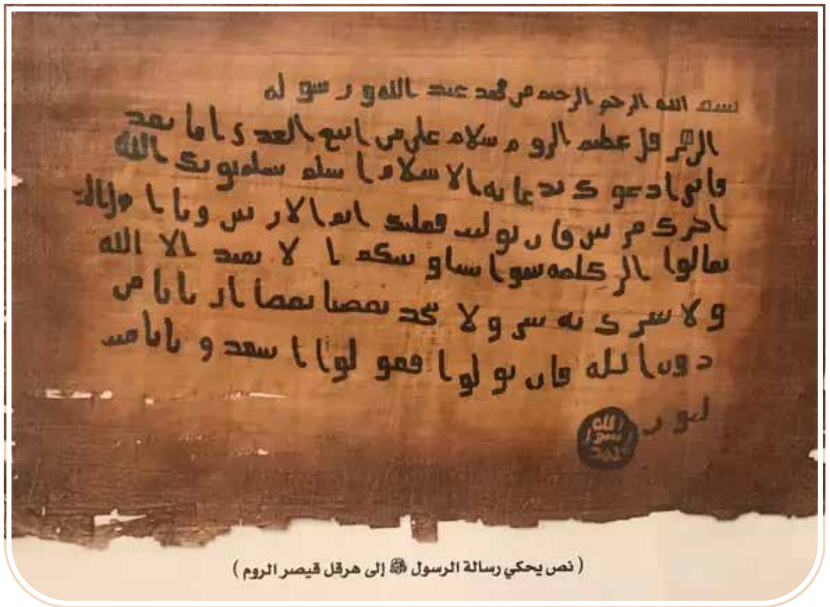

(نص يحكي رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل قيصر الروم)

الهوامش

(٢) صحيح مسلم، (١/ ٥).
(٣) صحيح البخاري، (١/ ٢٥٠ رقم ٦٧٧).
(٤) الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية: د. عدنان مهدي، ص ١٤٣.
(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، (٩٤٤).
(٦) سنن الترمذي بسند حسن، (٥/ ١١٠ رقم ٣٠١٠).
(٧) سنن الترمذي، (٣/ ٤٧٩ رقم ١٩١٩).
(٨) الجامع في الحديث: لابن وهب، ص ١١٦.
(٩) مسند أحمد بإسناد صحيح، (٢٩/ ٤٨٦ رقم ١٧٩٧٢).
(١٠) صحيح مسلم، (١/ ١٩٨ رقم ٢١٨).
(١١) شرح النووي على مسلم، (٣/ ٨٩).
(١٢) صحيح مسلم، (٤/ ١٧١٨ رقم ٢١٨٤).
(١٣) سنن الترمذي، (٣/ ٥٢٣ رقم ١٩٨٢).
(١٤) البداية والنهاية: لابن كثير، (٢/ ٨٩).

المدرِّب المتألِّق (6)
سمات معزِّزة.. التقدير والمرونة والإتقان

د. موسى المزيدي
مدرب معتمد في المهارات الإدارية والقيادية

كنا في المقالين السابقين قد طرحنا ٥ سمات مساندة للمدرِّب المتألِّق، ونكمل في هذا المقال بعض السمات المساندة الأخرى، منها:

٦- الاحترام والتقدير:

من طبيعة المتدربين أنهم يحبون المدرب الذي يحترمهم ويقدِّر جهودهم، وذلك بإعطاء فرصة لجميع المتدربين في الحوار والنقاش وتوجيه الأسئلة.

ففي إحدى دورات القطاع النفطي، دار نقاش وارتفعت أيادي المتدربين؛ كل يريد أن يدلي برأيه، فسمحت لأحد المتدربين بالنقاش؛ فاعترض متدرب آخر، وقال: لقد كنت رافعاً يدي قبله، ولكنك اخترته قبلي، وليس في ذلك عدل ولا إنصاف! فقام من مقامه وهو يصرخ قائلاً: لن أستمر معكم في هذه الدورة! فقلت له: أنا أعتذر إليك، لم أرَ يدك، تعالَ أصافحك، ولكنه استمر في صراخه، وآثر الخروج!

وعليه؛ فالمدرب المتألق هو الذي يحتوي المواقف المحرجة في أثناء دوراته، ويسعى لاحترام المتدربين، ولا يسعى إلى تصعيد تلك المواقف، وكذلك هو آخر من يخرج من قاعة التدريب؛ احتراماً لبعض المتدربين الذين يخجلون من النقاش أمام زملائهم في أثناء الدورة؛ فيمنح لهم وقتاً للنقاش على انفراد بعد نهاية الدورة.

وإليكم هذه القصة: في إحدى الدورات القيادية لمركز الداعيات بوزارة الأوقاف الكويتية، استوقفتني سيدة من المتدربات نصف ساعة بعد الدورة، تسألني عن كيفية تطبيق مبادئ الدورة في مجال التربية لأبنائها، وكنت آخر من يخرج من القاعة احتراماً لها، واستجابة لطلبها.

بالإضافة إلى ما سبق، يمكن القول: إن على المدرب أن يقدر جهود المتدربين، ويحترمهم، كما أنه يمنحهم هدايا وجوائز تقديرية؛ تقديراً لجهودهم، ومن أنواع هذه الجوائز:

- أحد المؤلفات من كتب المدرب الورقية أو الإلكترونية.
- أحد المؤلفات الإلكترونية لمشاهير التدريب في العالم.
- شهادات تقدير في نهاية الدورة.
- بوسترات ملونة لاقتباسات معروفة.

وأذكر مثالاً: في دورة الموارد البشرية للدكتور أحمد من الجامعة الأمريكية في القاهرة، قام بتوزيع قطع من الشوكولاتة على المتدربين -وقد كنت واحداً منهم- وذلك لكل من يتفاعل معه في الدورة، وكانت حركة

لطيفة وظريفة منه!

وبناء على ذلك؛ فإن المدرب المتألق يستمر في تقدير المتدربين في أثناء الدورة التدريبية وبعدها، ويحيطهم علماً بآخر ما توصل إليه العلم في موضوعها.

٧- المرونة واللين:

كذلك من طبيعة المتدربين أنهم يحبون المدرب الذي يكون معهم مرناً ولين‍اً، ولكن كيف يوفِّق المدرب بين الالتزام والانضباطية، والمرونة واللين؟! نلخِّص الإجابة في: على المدرب المتألق ألا يكون شديداً فيُكسر، ولا لين‍اً فيُعصر! وعليه أن يدرك إنما جاءه المتدربون لأغراض عديدة، منهم: من جاءه ليتعلم ويستفيد، ومن جاءه ليستريح من عناء وظيفته، ومن جاءه ليتحرر من التزاماته، ومن جاءه ليدردش مع زملائه، ومن جاءه ليثبت إمضاءه على ورقة الحضور ثم ينصرف.

ولذلك، على المدرب أن يراعي كل هذه الظروف لدى المتدربين؛ فيلتمس الأعذار لكل من يصل متأخراً للدورة، ومن يغادرها مبكراً، ومن يطلب الإذن بالخروج مؤقتاً ليقضي حاجة خاصة له، ومن يكثر من النقاش الجانبي مع زملائه، ومن يدخل طبقاً من الطعام معه أو فنجاناً من القهوة أو كوباً من الشاي إلى قاعة التدريب.. ولكنه في الوقت نفسه يضبط ذلك كله دون أن يأتي على حساب التدريب، وتوصيل المعلومات إليهم.

هنا تأتي حكمة المدرب المتألق في توجيه إرشاداته، بحكمة ودبلوماسية، في ضبط القاعة والمتدربين، بين الشدة في بعض الأمور، واللين في أمور أخرى، فيسمح أحياناً بدخول الطعام والشراب، ويمنعه أحياناً أخرى، ويسمح أحياناً بالنقاش الجانبي، ويمنعه أحياناً أخرى، وهو الذي يضبط الدخول والخروج للمتدربين بناء على ظروفهم الاجتماعية والطبية وغيرها.

ولنضرب أمثلة لذلك: في دورة الحرس الوطني، اضطر أحد المتدربين المغادرة لموعد طبي لأمه فأذنت له، واضطر متدرب آخر للمغادرة لارتفاع حرارة ابنه في المدرسة فأذنت له، واضطر متدرب ثالث للمغادرة لموعد مع المقاول الذي يبني منزله فنصحته بعدم المغادرة، ثم أذنت له على أن يعود إلينا فور انتهائه من شغله.

وفي دورة أخرى للحرس الوطني، اقترح أحد المتدربين أن ننهي الدورة مبكراً في آخر يوم من الدورة قبل الموعد بساعة، فطرحت هذا الاقتراح على المتدربين فوافقوا جميعاً، ولكنني اشترطت عليهم إلغاء فترة الاستراحة المخصصة للدورة في وسطها، فوافقوا جميعاً.

وفي دورة للقطاع النفطي، اقترحتْ إحدى المتدربات تأجيل يوم من أيام الدورة إلى موعد آخر، وذلك لانشغال بعض المتدربين بالسفر لأداء فريضة الحج، فتم تبني مقترحها.

وفي دورة ثانية للقطاع النفطي التي عقدت في فندق راديسون بلو، وصل إلينا خبر بزيارة الأمير أندرو -من العائلة الملكية البريطانية- لمعرض البوم في الفندق، فتم تحريك وقت الاستراحة لتوافق موعد زيارة الأمير أندرو، ومصافحته في المعرض، وهي فرصة سانحة لبعض المتدربين لن تتكرر.

ونخلص من ذلك بأن المدرب المتألق هو الذي يجمع بين الشدة واللين في دوراته؛ فيكون شديداً وملتزماً أحياناً، ومرناً لين‍اً في أحيان أخرى.

المدرِّب المتألِّق هو الذي يحتوي المواقف المحرجة ويسعى لاحترام المتدربين

.. وألا يكون شديداً فيُكسر ولا لين‍اً فيُعصر ويدرك أن المتدربين جاؤوا لأغراض مختلفة

.. وأن يكون متقناً لموضوعه ومعداً له إعداداً متميزاً لا تقل جودته عن ٨٠%

وذكر هذ القصة لنؤكد هذا المعنى: في إحدى الدورات لبنك الائتمان الكويتي، كانت الدورة قد شارفت على الانتهاء، ولما ينتهي العرض لمادة الدورة، هنا أعطيت ملخصاً للمادة التي تمت تغطيتها لمحتوى الدورة، وضغطت على زر الانتهاء (End) على لوحة المفاتيح، فظهرت آخر شريحة من دون عرض لبقية الشرائح، ومن دون أن يشعر المتدربون بذلك، وختمت الدورة بسهولة ويسر، بعيداً عن ضغط الوقت الذي داهمني، وهذا هو المقصود بالمرونة!

٨- الإتقان والجودة:

كذلك من طبيعة المتدربين أنهم يحبون المدرب الذي يكون متقناً لموضوعه، ومعداً له إعداداً متميزاً، ونحن هنا لا نتكلم عن الدقة المتناهية في الأداء التي تصل إلى ١٠٠%، بل الإتقان الذي لا تقل جودته عن ٨٠%، حيث إن عملاً متقناً يتراوح ما بين ٨٠ - ٩٥% هدف كل مدرِّب متألِّق، وإن الإتقان والجودة يكونان في ١٠ أمور:

١- العرض الجميل والتقديم المتميز لمادة الدورة.

٢- الخط الجميل والواضح على اللوح الورقي أو السبورة.

٣- الفيديوهات الواضحة والمرتبطة بمادة الدورة.

٤- الصوت الواضح في أثناء الشرح.

٥- الصوت الواضح الخارج من السماعات.

٦- التحكم في الإضاءة في أثناء العرض.

٧- التحكم في ستائر القاعة التدريبية.

٨- التحكم في درجة حرارة القاعة.

٩- نظافة القاعة، وخلو الجدران من الملصقات.

١٠- توفير المناديل الورقية، وعبوات الماء على المناضد.

إن عملية التدريب فن وذوق، وأدب واحترام، وتقدير وتشجيع!■

دروس ملهمة للأسرة المسلمة (6)

الصبر بين الإقدام والإحجام

د. محمد البربري
داعية إسلامي

الإنسان الفرد هو أساس المجتمع وعماده الأول، ومحور هذا الكون، وأهم لبنة في صرحه الشامخ، وبنيانه السامق، فهو مدني واجتماعي بطبعه، يبدأ حياته بمركب مزدوج؛ أبيه وأمه؛ لذا فالأسرة هي المحضن الأول.

وهو كذلك ابن بيئته وأسرته؛ فهي تؤثر في تكوين سلوكه وأفكاره وقيمه وعاداته ودينه وثقافته ولغته، وهي الأرض الخصبة التي يمكن أن نزرع فيها كل معاني الحب والرحمة والفضيلة في نفوس الناشئة.

منزلة الابن عند أمه منزلة لا يتصورها إنسان، ولا يعبر عنها أفصح بيان، فهو منها اللسان والفم والجَنان والدم، هو الإحساس قبل الأنفاس، هو الألم والأمل، رآه الفؤاد بالشوق والهيام قبل أن تنظره العينان وتنعم بدفئه الأحضان، هو اليوم الحاضر بإشراقه، والمستقبل القادم بأفراحه وأتراحه، هو قرة العين ومنى النفس، ربته السيدة أسماء رضي الله عنها فصنعت منه أمة في صورة شخص على خلاف كثير من الأمهات اليوم تربي أشخاصاً فقط كالهلام لا قيمة ولا وزن! ربت إحداهن الشكل وتناست العقل، أغدقت عليه عظيم الإغداق ليملأ بمنظره الأحداق وغفلت عن الفضائل والأخلاق.

وهذا نداء وضعته السيدة أسماء رضي الله عنها في فم الزمان ليملأ الكون صداه في مصابها بولدها عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، الذي صبر أمام طغيان الحجاج بن يوسف الثقفي بعزة المؤمن ويقين الصابر المحتسب.

دخل ابن الزبير على أمه اليوم الذي قتل فيه، وقد رأى من الناس ما رأى من خذلانهم فقال: يا أمي، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟

فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، قد قُتل عليه أصحابك، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قُتل معك، وإن قلت: كنتُ على حق فلما وهن أصحابي ضعفتُ، فهذا ليس فعل الأحرار، ولا أهل الدين، وكم خلودك في الدنيا؟ والله لضربة بالسيف في عزٍّ

إذا كانت الأم هي وعاء الإنتاج ومصنع الأفراد فإنها المعوّل عليها في صنع الرجال

أحب إليَّ من ضربة بالسوط في ذل.

فقال: إني أخاف أن يمثِّلوا بي، فقالت: يا بني، إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها، فدنا منها وقبَّل رأسها، وقال: هذا والله رأيي الذي قمت به داعياً إلى يومي هذا[1].

وضوح الهدف ونُبل الغاية

وأول أمر يسترعي انتباهك عند مطالعة هذا الموقف الرائع هو وضوح الهدف ونبل الغاية والمقصد، فإذا كانت الأم هي وعاء الإنتاج ومصنع الأفراد فإنها المعوّل عليها في صنع الأجيال والرجال، وكلما أدت دورها بإتقان صدرّت لأمتها نماذج إنسانية قرآنية عظيمة تستشرف الطريق السوي، وكلما تخلت عن مهمتها انهار البناء وسقط البنيان.

وهذا ما فطنت إليه السيدة أسماء رضي الله عنها، فهي تدرك أن الله عز وجل هو الغاية، والمصطفى صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة، وأن بذل المهج في سبيل الله أسمى الأماني، وأن كل شيء فداء هذا الدين القويم هباء، وبشعاع من سناها أنارت الطريق لأولادها وجعلتهم ثماراً ترجو من المولى جناها.

عن أبي نوفل ابن أبي عقرب، أن الحجاج لما قتل ابن الزبير وصلبه ثم أنزله عن جذعه وألقاه في قبور اليهود، أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك، قال: فأبت وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إليَّ من يسحبني بقروني.

فانطلق حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له: يا ابن ذات النطاقين، وأنا والله ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبي بكر، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا: «إن في ثقيف كذاباً ومبيراً»، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه، قال: فقام عنها ولم يراجعها[2].

دروس تربوية

وفي هذا الموقف عدة دروس دعوية وتربوية مهمة، منها:

١- عزة المرأة المسلمة وكرامتها وعفتها وعدم المهادنة عند الظالم وعدم الخوف إلا من الله عز وجل، وهذا دليل واضح على قوة العقيدة وصدق الرجاء.

٢- الثبات على المبدأ والتضحية من أجل العقيدة بالطارف والتليد ومفارقة الوالد والوليد، وإن كان يحلو للبعض أن يجعل من التغني بالثبات كلاماً، فلقد جعلت منه السيدة أسماء رضي الله عنها بالفعال أقلاماً.

٣- الصبر الذي بلغ قمة القمم ورأس العلم، وقل لي بربك: كيف يمكن لامرأة أن تأخذ ولدها بعد أن قُتل وصُلب ثم تحنطه وتكفنه وتصلي عليه، إلا إذا كان عندها إيمان وثيق وصبر جميل بموعود رب العالمين؟!

عن ابن أبي مليكة قال: دخلت على أسماء بعدما أصيب ابن الزبير فقالت: بلغني أن هذا صلب عبدالله، اللهم لا تمتني حتى أوتي به فأحنطه وأكفنه، فأتيت به بعد، فجعلت تحنطه بيدها وتكفنه بعدما ذهب بصرها وصلت عليه، وما أتت عليه

هناك فضليات محتسبات في فلسطين فقدن الولد والوالد والعائل على أيدي اليهود

جمعة إلا ماتت[3].

وما أروع هذا المثل الذي أصبح عنواناً بارزاً يدعو إلى الصبر والثبات والتضحية والفداء، وغدا واقعاً نحياه اليوم ونراه! فعلى الدرب فضليات محتسبات في أرض الله الواسعة في فلسطين وغزة الأبية وغيرها من البلدان الإسلامية فقدن الولد والوالد والعائل على أيدي اليهود المغتصبين ممن لا يعرفون رباً ولا يرحمون صغيراً ولا شيخاً ولا امرأة، هؤلاء الفضليات صبرن وصابرن واحتسبن الأجر عند قيوم السماوات والأرض، وأين منهن كثيرات من النساء يقمن المآتم والعويل ويلطمن الوجه بالويل والثبور ويعفرن وجوههن بالتراب وقد مات لهن عزيز على فراشه وبين عشيرته؟! ألا ما أبعد الشقة بينهما!

٤- الشجاعة وكلمة الحق عند سلطان جائر، وهذه من أفضل مراتب الجهاد وأعلاه، وهي تشتكي اليتم في دنيا الناس، فأربابها نفـــر قليل، أما الجبنـــاء فكثير ما هم!

وانظر إلى قوتها وشجاعتها في الصدع بالحق ومواجهة الحجاج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم بلا مبالاة ولا خوف من سيف انتقامه، وبطش سلطانه، بقولها له: «وأما المبير فلا أخالك إلا إياه»، وهذه بلا ريب أشهى ثمرات اليقين والرضا بما يصنعه رب العالمين.■

الهوامـش

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الظاهرة (٢/ ١٧٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٢)، والحديث رواه مسلم (٢٥٤٥).

(٣) المرجع السابق (٤/ ٤٣٣).

العِشْرة بالمعروف أو التفريق بإحسان (3)

كيف أتعبَّد إلى الله تعالى في الطلاق؟

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

عرضنا في الحلقة قبل الماضية معاناة فتاة من والديها بدءاً من خلافاتهما الزوجية، ومروراً بمأساة طلاقهما، وختاماً بتدمير ما تبقى منها بانتقام كل منهما من طليقه، بعد الطلاق (HTTPS://MUGTAMA.COM/319363/20/)، وتناولنا في الحلقة الماضية كيف أصل إلى قناعة شرعية بحتمية الطلاق؟ (HTTPS://MUGTAMA.COM/321727/20/)، كما وعدتكم، أيها القراء الكرام، بأنني سأتناول بمشيئة الله كيف أتعبد إلى الله في الطلاق؟

أوضحنا في الحلقة السابقة أن هناك ضوابط شرعية تؤدي إلى حتمية الطلاق، مثل:

- الصد عن أداء الشعائر.
- التعرض للوقوع في الكبائر.
- أذى نفسي أو بدني فوق الطاقة.

مع تأكيدنا أنه يجب المقارنة المتأنية بين استمرار الحياة الزوجية والطلاق لكل جوانب الحياة، ليس فقط على الزوجين، ولكن أيضاً على الأولاد، وبينا أن قرار الطلاق يمر بمراحل، وحتى لو تمت القناعة الكاملة بحتمية الطلاق، أوصينا بأن يتم الاتفاق على إرجاء الطلاق الشرعي لمدة ٣ - ٦ أشهر، ويتم خلال هذه الفترة الانفصال الكامل بين الزوجين والتعامل كأنهما مطلقان؛ بحيث يغادر الزوج البيت، وتدير الزوجة حياتها كأنها مطلقة.

والهدف من ذلك أن يعيش الزوجان حياتهما كمطلقين! ويراجع كل منهما نفسه، ويعيد تقييم نفسه وزوجه؟ فقد يرى في بُعده مزايا لم تكن واضحة، أو يرى مصاعب أكثر من مصاعبه معه، ويقرر العودة، أو يقرران الاستمرار في قرار الطلاق.

نتائج فترة الانفصال:

أولاً: اتفاق الزوجين على العودة:

١- يسجدان لله شكراً على تغلبهما على أثرة النفس ونزغ الشيطان.

٢- تحديد الأسباب التي أدت بهما إلى الوصول إلى أعتاب الطلاق.

٣- وضع برنامج عملي لمعالجة هذه الأسباب، ولا حرج من الاستعانة بعد الله بأحد المتخصصين في ذلك.

٤- تذكُّر المعاناة التي مرَّا بها؛ حتى يحافظا على حياتهما معاً- وفضل الله عليهما أن وفقهما للعودة مرة أخرى لمحضن حياتهما الزوجية.

ثانياً: قرر أحدهما العودة وقد أصر الآخر على الطلاق:

على الزوج الذي قرر العودة للحياة

الزوجية أن يراجع نفسه، ويحدد الأسباب التي جعلت زوجه يصر على الطلاق، فإن لم تكن تتعلق بالشرع ويمكنه أن يتوافق مع زوجه حول نقاط الخلاف بقناعة -وليس فقط لمجرد استرضاء زوجه ثم العودة مرة أخرى لممارسة أسباب الخلافات- فيحتسب عند الله بذله، ويحاول استرضاء زوجه بنزع أسباب الخلاف من جانبه، فإن وفقه الله في ذلك فلله الحمد، وتطبيق الخطوات الثلاث الأولى من الحالة أولاً.

فإن أصر الزوج على الطلاق يتم تطبيق الحالة ثالثاً.

ثالثاً: اتفاق الزوجين على الطلاق:

يرجع الزوج إلى البيت ويطلق زوجته طلاقاً شرعياً.

ثبت عن ابن عمر أنَّه طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وهي حَائِضٌ، علَى عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَسَأَلَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن ذلكَ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إنْ شَاءَ أمْسَكَ بَعْدُ، وإنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أنْ يَمَسَّ، فَتِلْكَ العِدَّةُ الَّتي أمَرَ اللَّهُ أنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ» (رواه عبدالله بن عمر، صحيح البخاري، ٥٢٥١).

ويستدل من هذا الحديث أن المطلقة طلاقاً رجعياً تبقى في بيتها مع زوجها؛ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾ (الطلاق).

كيف يتصرف الزوجان في فترة العدة؟

لا حرج على أي منهما أن يتزين لزوجه؛ عسى أن يستجيب أي منهما لزوجه، ويعودا زوجين دون عقد أو مهر.

ونؤكد أنه يجب على كل من الزوجين أن يتعامل مع زوجه في فترة العدة بالمعروف؛ تعبداً لله، وأن يتقي الله في زوجه حتى ينعم الله عليه بالفرج والرزق؛ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (الطلاق).

إن الحرص على الإحسان إلى الزوج في فترة العدة تعبداً لله ومراعاة لحالته النفسية قد يُحدث تغيراً في قلب الزوج؛ فيقرر العودة؛ ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾ (الإسراء: ٥٣)، ومن المهم أن يبذل كل زوج ما في وسعه ويحرص على استرضاء زوجه قبل وقوع الطلاق، وأن يستسمحه، حيث إنه من المؤكد أنه قد تجاوز في حقه.

إن العلاقات الزوجية من أكثر العلاقات تفاعلاً وتشابكاً، ومهما حرص الزوج فإنه قد يتجاوز في حق زوجه؛ لذا دائماً نوصي بسرعة التغافر والتسامح والعفو والإحسان بين الزوجين، وحتى لا يوافي الأجل الزوج وهو ظالم زوجه، فيقتص منه يوم القيامة، أما وقد وقع الطلاق فيجب على الزوج أن يسترضي زوجه ويزيد بالفضل على حقه، حتى لا يحاجيه يوم القيامة أمام الله طالباً القصاص ولو من نظرة ازدراء.

ومن واقع ما عرض علينا من استشارات نستطيع أن نؤكد أن تصرفات الزوج في مرحلة الطلاق وما يليها قد تدفع زوجه إلى أن يفكر في العودة أو الإصرار على الطلاق.

فإن مرت فترة العدة دون رجعة، فلله الحكمة البالغة وقد بانت منه.

الحقوق المالية للمطلقة طلقة رجعية:

- مؤخر صداقها إن لم يكن دفعه كاملاً.
- نفقة متعة تُقدَّر بيُسر الزوج ومدة الحياة الزوجية.
- النفقة لمدة ثلاثة أشهر من مسكن ومأكل.

للأسف، بعض الأزواج يعضل زوجته حتى تتنازل له عن بعض من حقوقها المادية، ولا يتذكر أن الظلم ظلمات يوم القيامة؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاء كَرْهاً وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ (النساء: ١٩)، كذلك من الظلم أن يعامل الزوج زوجته بقسوة حتى يجبرها على أن تخلعه متنازلة عن حقوقها المالية وترد له صداقها، أو بعض ما قد أهداها.

الحقوق المالية للمطلقة طلقة بائنة:

اختلف الفقهاء في حقوق المطلقة طلقة بائنة، وأن من منطلق العفو والإحسان أن تكرم ابتغاء عفو الله.

كذلك إن كانت المطلقة في يُسر وتعلم أن مطلقها في عُسر فقد حثها الشارع الحكيم جل شأنه على العفو؛ ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا

لو تمت القناعة الكاملة بحتمية الطلاق يتم الاتفاق على إرجاء الطلاق الشرعي لمدة ٣ - ٦ أشهر

على الزوج الذي قرر العودة للحياة الزوجية مراجعة نفسه ويحدد الأسباب التي جعلته يصر على الطلاق

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧)، كما حض الزوجين على أن يتعاملا بالفضل والعفو لما كان بينهما من عشرة.

آداب الطلاق (الحقوق والواجبات المعنوية للمطلق):

- المحافظة على أسرار الحياة الزوجية: لا يجوز شرعاً إفشاء الأسرار الزوجية، وكل ما ائتمن عليه الزوج زوجه ولا بيان سبب الطلاق، للأسف -إلا من رحم ربي- حتى يبرئ الزوج ساحته يشيطن من كان زوجه وكأنه كان ملاكاً!

- عدم ذكر مَنْ كان زوجي إلا بالخير أو الصمت، لقد حذرنا الله من الغيبة؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

يُروى أن أحد الأزواج طلق زوجته وأعطاها حقوقها المالية كاملة، ولكنها بالغت في طلبها وقررت اللجوء للقاضي، فأعطاها فوق حقها لتسحب شكواها! وبرر ذلك بأن مروءته أبت أن تقف مَن أفضت إليه وأفضى إليها أمام القاضي مبررة طلبها كذباً!

الأولاد:

إن الطلاق وقع بين الزوجين وليس للأولاد؛ لذا يجب أن تظل علاقة الأب بأولاده مستمرة، وهو المسؤول الوحيد عن تكلفة حياتهم كاملة طبقاً لقدراته مهما بلغ ثراء أمهم.

وإن كانت الأم هي التي تقوم بخدمة الأولاد فعلى الأب أن يتكفل بقيمة ذلك، ناهيك عن الإحسان المعنوي لها.

ومهما كان مقدار السوء الذي يرى الأب طليقته، أو الأم طليقها، فيجب ألا ينعكس ذلك على الأولاد، فمن أشد المدمرات على الأولاد أن يذكر والده أمه بسوء، أو تذكر

الحرص على الإحسان إلى الزوج بفترة العدة ومراعاة حالته النفسية قد يحدث تغيراً في قلبه

الطلاق للزوجين وليس للأولاد فتظل علاقة الأب بأولاده مستمرة وهو المسؤول عن تكلفة حياتهم

والدته أباه بسوء، لا يجوز شرعاً أن يكون الأولاد ساحة مباحة لانتقام أي من الوالدين بالآخر.

تربية الأولاد:

تربية الأولاد مسؤولية مشتركة على الوالدين، وليس معنى أن الأولاد في كفالة أحدهما -عادة الأم- أن تنتفي مسؤولية الآخر، حتى ولو تزوج وكان له أولاد من زواجه، فعليه أن يحرص على مراعاة وتربية أولاده من زواجه السابق أكثر، تعويضاً لهم عن فقدانهم المحضن التربوي الطبيعي بين والديهم.

ومن خلال ما عرض علينا من استشارات نستطيع أن نؤكد أن أداء أمانة ومسؤولية تربية الأولاد بعد الطلاق كثيراً ما تضيع، وهي أهم من الكفالة المادية التي قد يتكفل بها أهل الخير أن قصر عنها الوالد؛ لذا يجب حرص كلا الزوجين على التوافق والتكاتف معاً على كيفية تربية الأولاد ودور كل منهما في ذلك، وأن يتناسيا ما كان بينهما من حلافات حتى يستطيعا القيام بهذه الأمانة التي سيسألان عنها أمام الله تعالى.

إن توافق الوالدين على أداء أمانة تربية أولادهما وخوفهما عليهم كانت سبباً في كثير من الحالات لعودة الحياة الزوجية بين المطلقين؛ ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠).■

لإعداد جيل يقود نهضة الأمة..

ضرورة توفير بيئة دراسية جاذبة

منى عبدالفتاح

مع قدوم العام الدراسي الجديد، تزداد الحاجة إلى تجويد المنظومة التعليمية، وإضافة عوامل جذب تزيد من إيجابية وفاعلية بيئة التعليم، وتجعل من المدرسة هدفاً مرغوباً، ووجهة مفضلة لدى الطلاب.

ومن الأهمية في هذا الصدد الأخذ في الاعتبار التحديات التي تواجه العملية التربوية والتعليمية، والتطور السريع والفائق في وسائل التكنولوجيا ومتغيرات العصر، خاصة أن المعارف تتضاعف كل ٣ - ٥ سنوات.

إن البيئة التعليمية ليست فصلاً دراسياً فقط، أو جدراناً جميلة، بقدر ما هي عملية متكاملة تشمل إلى جانب المدرسة، المعلم، والمحتوى التعليمي، والوسائل التعليمية، والبرامج المحفزة، والطالب ذاته، الذي يحتاج إلى وعي باحتياجاته، وإدراك لمتطلبات نموه الذهني وتطوره المعرفي.

حين تصبح جميع مكونات العملية التعليمية والبيئة الدراسية جاذبة ومتناغمة وناضجة؛ هنا يمكن ترقب ظهور جيل واعد يقود نهضة الأمة، ويعالج مشكلاتها، ويسد ثغراتها، بل يبدع في مواجهة الصعاب والتحديات، ويقود سفينة الأوطان إلى المستقبل بنجاح.

ومن المهم أولاً أن تتضح الرسالة التربوية بما يحفز الطلاب على التعلم، ويرفع مستوى إدراكهم للمهمة الملقاة على عاتقهم، فنحن نريد عقولاً تبني، وقلوباً ذات بصيرة تسير على الدرب الصحيح.

ليس المطلوب عقولاً تحفظ فقط، أو تتجهز فقط لاجتياز الامتحان كل عام، إنما نريد عقولاً واعية، ونفوساً سوية، وسلوكيات منضبطة، فهم -أي الطلاب- جزء من النظام المدرسي من أهم عوامل نجاح البيئة المدرسية الإيجابية.

ولا يقل بأي حال من الأحوال الدور الذي يقوم به المعلم، والرسالة التي يؤديها، في تخريج وتخليق جيل مبدع مبتكر، يغرس فيه الخير والصلاح، ويزوده بالقيم النبيلة، ويفتح المدارك أمامه نحو غاية العلم، وسمو المقصد، فكم من معلم كان له عظيم الأثر في تخريج نوابغ وعلماء للأمة! وكم من معلم تسبب في إفساد الفسيلة، فأنتج الجاهل والمشوّه نفسياً والمتأخر دراسياً وعقلياً وأخلاقياً!

نحن لا نريد المعلم الناقل للمعلومات، المتاجر بالدروس الخصوصية، الساعي للراتب الشهري، بل نريد المعلم البنائي، القادر على التعامل مع الطلاب، وتفهم احتياجاتهم، والتأثير فيهم، حتى ينتقل من درجة معلم إلى مربٍّ.

كذلك تزيد جودة البرامج التعليمية من جاذبية البيئة المدرسية، لا سيما مع التطور الهائل في وسائل وبرامج التعلم، والحاجة إلى استخراج المواهب والكفاءات، وضرورة تطوير قدرات المتلقين، وتنمية العلاقات البينية الإيجابية بين الطلاب، وتعزيز روح التعاون والمشاركة، بما ينعكس على تماسك المجتمع وصموده الداخلي.

ومن الضروري كذلك توفير بيئات تعلم إلكترونية تتناسب مع احتياجات المجتمعات في القرن الحادي والعشرين، وتتجاوز التعليم التقليدي المتبع في مدارسنا، ومنها التعلم عن بُعد، والتعلم التشاركي، والتعلم القائم على التجربة، والتعلم القائم على المشاريع، والتعلم التكيفي، والتعلم الهجين، وغير ذلك من أنماط حديثة تسير على دربها الدول المتقدمة.

إن الدراسات الحديثة، وفي إدراك لجميع جوانب العملية التعليمية، لم تغفل الجانب العاطفي عند تصميم البيئات التعليمية الافتراضية الذكية، كمنتج تعليمي، على اعتبار أن الإنسان ليس مركباً آلياً، ولا يمكن أن يكون كذلك، وهو ما يجب الانتباه إليه، وأن نعيد توظيف الجانب العاطفي عند تصميم البيئات التعليمية، الواقعية منها والافتراضية.

في هذا السياق، يزيد من جاذبية المدرسة توافر المواد التعليمية المناسبة، والأثاث، والألعاب التربوية، والأنشطة المدرسية، وغير ذلك من وسائل تعين على تحقيق أهداف التعليم، وفتح الأفاق لدى الطلاب نحو البحث والتفكير، والاستكشاف والاختراع.

ومن الحكمة الأخذ بعين الاعتبار التصميم الداخلي للمدرسة، وديكورات الفصول، وحالة المرافق والخدمات، وجاهزية المكتبات والمختبرات والملاعب، وكفاءة أركان التعلم المختلفة، كركن الخط، والرسم، والإنشاد، والابتكار، والتمثيل، والصحافة، والإذاعة المدرسية، وغيرها من أركان ومسارات من شأنها، توفير بيئة متكاملة للطالب.

ووفق خبراء تربويين، فإن بيئة التعلم تقاس وتُقيّم جودتها من حيث كونها فقيرة أو غنية، مملة أو ممتعة، تقليدية أو حديثة، طاردة أم جاذبة، مغلقة أم منفتحة، ضاغطة أم مريحة، وهي معايير تأخذ بها الدول المتقدمة، بما يجعل من بيئة التعلم جاذبة، ويرفع من نسب التعلم، ويصنع الفرق في معارف الطلاب ومهاراتهم واتجاهاتهم ونتائجهم.

المدرسة محضن ووعاء، سيخرج منه العالم والطبيب والمهندس والصحفي والمحاسب، سيخرج منه رجل الدين والقانون والقضاء والإعلام، سيخرج منه آباء وأمهات المستقبل؛ لذلك لا نريد محضناً من أجل الامتحان فقط، كما هي الحال في بلادنا، بل نريده محضناً للوعي والفكر والمعرفة، محضناً للثراء المعلوماتي والأخلاقي والقيمي والإيماني.

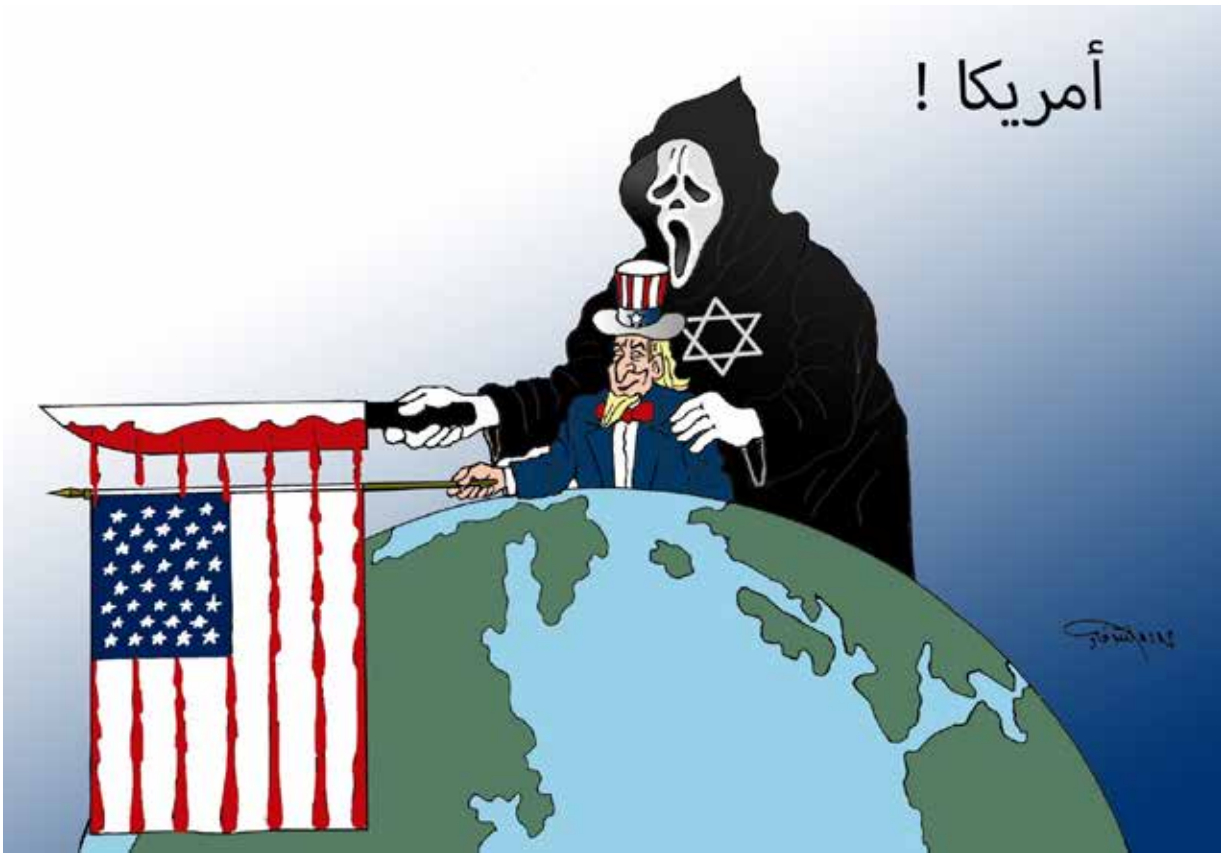
أمريكا !

الأعمى والمجنون !
غزة
الفشل

أهلنا ما نخليهم

جمعية التكافل
لرعاية السجناء
الأقربون أولى بالمعروف

عشرون عاماً من العطاء

الغارمين

عدد الحالات

18,000

ألف حالة

المبلغ

13 مليون

أسر السجناء

عدد الحالات

15,000

ألف حالة

المبلغ

3,2 مليون

ج9 / ت ج د 2 / 2024

أرقام الحسابات البنكية: بيت التمويل الكويتي 011140010577- البنك الوطني 1000314577- بنك بوبيان777619001

24834414 94064086 @Takaful.Association
www.altkaful.com @altakaful

نمـــاء الخيريـــة
NAMAA CHARITY
جمعية الإصلاح الاجتماعي

أفضل الصدقة
سقيا المـاء

فقط بـ 20 د.ك تسقي 700 شخصاً

توزع على:
المساجد، المرافق الحكومية، المقابر

1888833
www.namaakw.net

نهتـــم بالإنســـان

ج1 | ت م د1 | 2024 | يمنع الجمع النقدي